شريف سوقي
رجل الأسرار
١
www.riwaya.ga
تل الموت

المقدمة

(حاتم الصاوى) أحد أبرز رجال المباحث الجنائية تخصص فى حل طلاسم جرائم القتل المعقدة وكشف أسرارها .

عُرف بذكائه الحاد وبراعته الفائقة فى الاستنتاج والتحليل .

وقدرته على التصدّى لأصعب الملفات الجنائية فأُطلق عليه لقب (رجل الأسرار) !

ومعًا سنعيش عزيزى القارئ فى هذه السلسلة مواجهات دائمة وصراعًا مستمرًا بينه وبين عتاة المجرمين لتكون مشاركًا معه فى حل ألغاز القضايا المعقدة فى إطار من المتعة والتشويق والإثارة .

شريف شوقى

www.riwaya.ga

الفصل الأول

امتزجت أشعة الشمس الذهبية بنسمات البحر المنعشة ليتشاركا معًا فى خلق مناخ رائع فى تلك البقعة من مدينة (الإسكندرية) والتى تشتهر بالصيد الوفير والأسماك المتنوعة الأشكال والأحجام فى (أبو قير) .

وكان الصيادون قد تأهَّبوا للعودة إلى منازلهم بعد رحلة صيد موفَّقة محمَّلين بكميات وفيرة من الأسماك التى اصطادوها فى هذا اليوم من أيام شهر أغسطس .

وقد بدا (يوسف) أكثرهم بهجة وسعادة بما حملته شباكه من صيد بعد جُهد يوم شاق قضاه فى البحر منذ الساعات الأولى للفجر .

ومن فرط سعادته بهذا الرزق الوافر تملكته رغبة عارمة فى أن يسبح فى الماء قبل عودته إلى الشاطئ .

بينما تطلَّع إليه زميله من فوق سطح القارب وهو يسبح قائلًا :

– لابد أنك مجنون .. ألم تكفك مشقة الصيد طوال اليوم وما بذلناه من جهد منذ الساعات الأولى للصباح لتسبح أيضًا .

ابتسم (يوسف) وهو عائم على ظهره قائلًا له :

– ومن قال إن فى العوم مشقة ؟ بالعكس هو بالنسبة لى راحة ومتعة لا تُضاهيها أى متعة أخرى .

www.riwaya.ga

– لكن لا وقت لدينا لذلك فالتجار فى انتظارنا على الشاطئ الآن لشراء الأسماك .. ثم إن التيارات شديدة هنا .

قال له قبل أن ينقلب على وجهه مواصلًا سباحته :

ـ سأعوم حتى الجزيرة الصخرية .. ثم ألحق بك .

لم يستطع زميله أن يثنيه عن عزمه .. وقبل أن يُكمل حديثه كان قد شق طريقه فى الماء متجهًا إلى الجزيرة التى أشار إليها .

فالرجل كان بارعًا فى السباحة التى يجيدها منذ الصغر وعاشقًا لها .. لذا لم يجد صعوبة كبيرة رغم شدة التيارات الهوائية فى الوصول إلى الجزيرة خلال وقت قصير .

وكانت الجزيرة كما يدل عليها اسمها منطقة شديدة الوعورة وتزدحم بالصخور ذات الأحجام والأشكال المختلفة والتى يمتد بعضها إلى داخل مياه البحر .

وهى صخور حادة مدببة تتخلل بعضها الأعشاب البحرية .. وبعضها كان زلقًا لزحف الأمواج عليه .

وهو ما جعل السير خلال تلك الصخور ومحاولة تسلقها عملًا محفوفًا بالمخاطر ويحتاج لقدر كبير من الحذر والمهارة .

وما إن تمكن (يوسف) من وضع قدميه على الشاطئ حتى جلس على الرمال مستندًا بظهره إلى أحد المنحدرات الصخرية القريبة من الماء وهو يلتقط أنفاسه من أثر الجهد الذى بذله فى السباحة .

حيث ظل يتطلّع إلى الأمواج التى تزحف على قدميه مستمتعًا بأشعة الشمس الذهبية وهى تبعث الدفء فى جسده .

أراد أن يستريح قليلًا قبل أن يعود مجددًا إلى قاربه الذى تركه فى عهدة زميله .

وسرعان ما استهوته نسمات البحر العليلة فاستسلم لها مغمضًا عينيه وقد بدا مستكينًا تمامًا لتلك الطبيعة الساكنة حوله .

لكنه انتبه فجأة من خموله واسترخائه حينما سمع صوتًا يُشبه الأنين يأتيه على مسافة غير بعيدة عنه .

وأصغى السمع جيدًا ليتبيَّن ما إذا كان ذلك الصوت حقيقة أم وهمًا .. لكن هذا الأنين عاد ليتردَّد من جديد .

فهب واقفًا وهو يحاول تتبع مصدره .

كان الصوت آتيًا من خلف المنحدر الصخرى الذى استند إليه فالتف حوله ليفاجأ بشخص ملقى بين الصخور فى حالة يُرثى لها وقد أصيب بإصابات بالغة فى عدة مواضع من جسده .

روَّعه ما رآه فظل ساكنًا فى مكانه للحظة قبل أن يجثو بجوار الرجل الجريح ليتفحَّصه قائلًا :

ـ ما الذى فعل بك ذلك ؟

لكن الرجل الذى كان ينزف بشدَّة بدا عاجزًا عن الكلام والحركة وقد توقف أنينه .

مما جعل (يوسف) يدرك أنه لا فائدة تُرجى من محاولة إنقاذه وحاول أن يبحث بين طيَّات ثيابه التى تلوثت بالدماء عن أى شىء ينم عن شخصيته لكن سرعان ما تراجع عن ذلك خوفًا مما يمكن أن يُسبِّبه له ذلك من متاعب وتوريطه فى أمر هو من اختصاص الشرطة .

لكن سرعان ما دفعه الفضول لأن يُنحى مخاوفه جانبًا معاودًا تفتيش ثياب الرجل .

ليعثر فى جيبه الداخلى على حافظة نقودًا جلدية قام بفتحها فوجد بداخلها مبلغًا نقديًا بسيطًا وورقة مطوية مُبللة بالماء قرأها بصعوبة ليجد مكتوبًا فيها العنوان التالى « ١٥ شارع الرمل الدور الثالث » .

وما عدا ذلك فلم يكن يوجد أى شىء آخر ذو أهمية .. لا بطاقة هوية ولا مفكرة هاتف .. ولا شىء يدل على شخصية الرجل .

وفجأة امتدت يده لتقبض على ذراع الصيَّاد بقوة وقد جحظت عيناه وهو يُحدق فيه بنظرة أصابته بالفزع .

فتراجع إلى الوراء وهو يجذب ذراعه من يد الرجل حتى كاد أن يسقط على ظهره .

بينما رفع الرجل رأسه قليلًا وهو يرمقه بتلك النظرة الجاحظة قائلًا بصوت متحشرج :

ـ غير معقول .. (عنتر) .. لماذا يا (عنتر) ؟

ثم ما لبث أن تهاوت رأسه مرة ثانية على الأرض وقد تلاشى ذلك الجحوظ المخيف من عينيه لتخمد حركته تمامًا على نحو ما كان عليه من قبل .

بينما ظل (يوسف) جامدًا فى مكانه وهو يرقبه بنظرات يملؤها الرعب قبل أن يقترب منه مجددًا بخطوات حذره .

وأمسك به ليهزه بقوة أملًا فى أن يكون ما زال على قيد الحياة .

لكنه لم يبد حراك .. فلم يعد لديه شك أن الرجل قد قضى نحبه هذه المرة .

ظل جاثيًا على ركبتيه بجواره وقد شل تفكيره للحظات قبل أن يتبيّن أنه لم يعد لديه ما يفعله سوى إبلاغ الشرطة .

فأسرع يقفز فى الماء عائدًا إلى الشاطئ بعد أن وجد صديقه وقد سبقه بقاربه إلى هناك .

***

جلس (حاتم) مسترخيًا على مقعده أسفل المظلة الشمسية يراقب الأمواج وهى تزحف فوق الرمال لتلامس قدميه وقد شعر بشىء من الاسترخاء والمتعة .

وكان قد أتى لقضاء إجازة قصيرة فى (الإسكندرية) انقضى منها يومان فقط حيث اعتاد المجىء إلى شاطئه المفضل فى (جليم) لينعم بلحظات استجمام لم يكن يحظى بها إلا فى فترات قليلة وقصيرة فى حياته العملية .. وقد اختار لنفسه مكانًا بعيدًا عن بقية المصطافين محاولًا تجنب الزحام والصخب مسترجعًا ذكريات قديمة من أيام طفولته وصباه حينما كان يترقَّب قدوم الإجازة الدراسية بفارغ الصبر ليأتى بصحبة أسرته إلى هذا الشاطئ المفضَّل لديهم كل صيف .

وابتسم وهو يتذكر المرات العديدة التى لعب فيها على رمال هذا الشاطئ وغاص فى مياه البحر الزرقاء بصحبة أصدقائه الذين طالما شاركوه لهوه ومرحه وشقاوته فى تلك البقعة الساحرة من الشاطئ .

وما لبث أن أطلق زفرة طويلة من صدره فقد تغيرت أشياء كثيرة فى حياته وفى هذا المكان أيضًا وانتهى زمن اللعب والمرح البرىء والضحكات النابعة من القلب .

1

خاصة بعد أن رحل والداه ورحل معهما ما كان يستشعره من دفء أسرى لم يستطع أن يعوّضه أو يجد له بديلًا .. وأصبح المجىء إلى هذا الشاطئ مرتبطًا لديه بالعديد من الذكريات والحنين إلى الماضى .

أجل .. مازال المكان هو نفس المكان .. لكن الزمن اختلف .. وأشياء كثيرة تبدّلت عما كان يعرفه فى طفولته وصباه .

وانتزعه من أفكاره وذكرياته ، الرنين المفاجئ لهاتفه الخلوى على المقعد المجاور له .

فنظر إليه متذمرًا وهو يغمغم قائلًا :

ـ كان يتعيَّن علىَّ أن أغلقك منذ البداية .

لكن الرنين المتواصل اضطره لتلقى الاتصال .. وقد سمع صوتًا مميزًا يحدثه قائلًا :

ـ معقول أن تكون فى (الإسكندرية) منذ يومين ولا تأتى لزيارتى .

ابتسم (حاتم) بعد أن تعرف على صاحب الصوت قائلًا :

ـ سيادة اللواء (هاشم) .

كان المتحدث هو اللواء (هاشم مهران) مدير أمن (الإسكندرية) وأستاذه السابق بكلية الشرطة .

اعتذر (حاتم) قائلًا :

ـ بالتأكيد كان لا بد وأن آتى لزيارتك يا فندم قبل انتهاء إجازتى .

ـ وهل كنت ستنتظر حتى انتهاء الإجازة لتعلمنى بحضورك ؟ اسمع ، دعك من تلك الأعذار الفارغة ستأتى لزيارتى الليلة ونتناول العشاء سويًا .

ـ يُشرّفنى ذلك .. ولكن ....

ـ لن أقبل منك أية أعذار .

ـ إذن فلنؤجلها للغد .

ـ فليكن .. سأكون فى انتظارك أنا وزوجتى الساعة الثامنة والنصف مساء .

***

انتهى (حاتم) من تناول العشاء مع أستاذه .. ليسأله بعدها قائلًا :

ـ أرجو أن يكون الطعام قد أعجبك .

ـ بل كان رائعًا .

نظر اللواء (هاشم) إلى زوجته بخبث وهو يقول :

ـ أشعر فى كلامك بشبهة مجاملة للمدام .

قال (حاتم) وهو يمسح فمه بفوطة المائدة :

ـ ليس فيما أقوله أية مجاملة فالطعام شهى بالفعل .. عيبه الوحيد أنه جعلنى أفرط فى تناوله إلى حد الامتلاء .

ابتسمت الزوجة بزهو قائلة :

ـ يُسعدنى أن طعامى قد أعجبك .

ضحك اللواء (هاشم) قائلًا :

ـ ليس الطعام فقط .. بل القهوة المضبوطة واللذيذة الطعم ، هل نسيت القهوة التى تعدها زوجتى ؟

ابتسم (حاتم) قائلًا :

ـ ما زلت أتذكر طعمها وأزعم أنها أفضل ما تناولته من قهوة طوال حياتى .

عاد الرجل لينظر إلى زوجته قائلًا :

ـ وأنا أضم صوتى لصوتك هذه المرة .. إذن هيا دعينا نتناول فنجانى قهوة من إعدادك بعد أن منيت علينا بهذا العشاء الدسم .

نهضت الزوجة قائلة :

ـ حالًا ستكون جاهزة .

واصطحب اللواء (هاشم) ضيفه إلى الشرفة المطلة على البحر من الدور العاشر ليجلسا سويًا وهو يقول :

ـ هيه .. قل لى يا (حاتم) .. ما أخبارك ؟

ـ لم يطرأ جديد على حياتى منذ آخر لقاءٍ لنا .

ـ ألم تتزوَّج بعد ؟

ابتسم (حاتم) قائلًا :

ـ لم أجد بعد الزوجة التى ترضى أن تشاركنى حياتى الشُرطية بكل همومها ومتاعبها .

ـ حجة واهية .. فأنا تزوجت وأنجبت .. وأحقق النجاح فى عملى .. قل أنك اعتدت حياة العزوبية .

على أية حال فأخبارك تصلنى دائمًا وأعرف أنك أصبحت الآن واحدًا من أشهر ضباط المباحث الجنائية فى مصر وأنك محقق جنائى بارع .

أطرق (حاتم) قائلًا :

ـ أشكرك يا فندم .. ما زلت أجتهد لأكون جديرًا بتلك الصفات .

ـ دعك من هذا التواضع .. فكلنا نعرف من هو (حاتم الصاوى) رجل الألغاز البوليسية المعقدة وبالمناسبة ، عزومة العشاء التى دعوتك إليها لم تكن كلها من أجل استضافتك والترحيب بك فى منزلى فجزء منها مرتبط بعملك أيضًا .

نظر إليه (حاتم) بتساؤل ، بينما استطرد الرجل قائلًا :

ـ نحن بحاجة لبعض مجهوداتك معنا هنا .

قال له مبتسمًا :

ـ أنت تعرف أننى مُغرم (بالإسكندرية) .. لكنى مرتبط بعملى فى القاهرة ارتباطًا وثيقًا .

ـ كلا .. لا أقصد أن تنتقل للعمل معنا فى مباحث (الإسكندرية) وإن كنت أتمنى ذلك .. لكن لدىَّ حاليًا قضية معقدة بعض الشىء وتحتاج لقدر من ذكائك وموهبتك فى حلها إذا لم يكن لديك مانع .. فهل يمكن أن تقطع إجازتك بعض الوقت لتشاركنا فى فك طلاسمها .

ـ أنا تحت أمرك يا فندم .. لكن ما هى ملابسات تلك القضية .

اعتدل اللواء (هاشم) فى جلسته قائلًا بجدية :

ـ لقد عثر على جثة لأحد الاشخاص بالأمس فى إحدى الجزر بالقرب من أبو قير .

التضاريس فى تلك الجزيرة شديدة الوعورة والصخور فيها حادة للغاية وهناك شك أن يكون الرجل قد لقى مصرعه بسبب ارتطام جسده ورأسه بتلك الصخور المدببة أثناء سباحته على مقربة من الجزيرة أو تنقله فوقها .. كما يوجد شك أيضًا فى أن وفاته ربما تكون ناجمة عن سبب آخر .. جريمة قتل مثلًا عمومًا سيكون من الأفضل لو اطلعت على الجثة بنفسك .. وفى حالة ما إذا قررت أن الوفاة ناجمة عن فعل جنائى ووافقت على تولى مسئولية تلك القضية فيسعدنى أن أعهد لك بها .

ـ لكن ذلك يحتاج إلى موافقة من رؤسائى فى القاهرة فأنت تعرف ....

قال له سريعًا :

ـ أعرف .. لا تحمل همًا لذلك .. سأتصل بهم فى حالة موافقتك .

كلنا فى النهاية نعمل من أجل هدف واحد وهو تحقيق العدالة وسيكون الجميع هنا جاهزين لمساعدتك والتعاون معك فى هذا الشأن .. أما بالنسبة للمسائل الإجرائية فسأتولاها بنفسى .

تناول (حاتم) القهوة على عجل قائلًا :

ـ سأشرب القهوة وأبدأ فى التحرّك على الفور .

ـ لديك شاهد واحد فى هذه القضية وهو صياد بسيط من أبو قير كان أول من عثر على الجثة .. وقد أمرت بعدم نقلها من مكانها قبل أن تلقى عليها نظرة فاحصة عن قرب .

ابتسم (حاتم) قائلًا :

ـ كنت واثقًا إذن أننى سأتولى هذه القضية .

ـ بالطبع .. فأنا أعرف أن غريزتك البوليسية لا بد وأن تتحرك دائمًا سعيًا وراء هذا النوع من الحوادث الغامضة .

***

الفصل الثانى

هبط (حاتم) من القارب الذى أقله إلى الجزيرة بصحبة أحد زملائه من المباحث الجنائية (بالإسكندرية) ليجد فى انتظاره بعض رجال الشرطة والمعمل الجنائى وقد التفوا حول جثة المتوفى .. فى حين انشغل الآخرون بالبحث عن أى آثار أخرى تتعلَّق بالحادث .

وما لبث أن اقترب بدوره ليلقى عليها نظرة فاحصة وهو يتساءل قائلًا :

– هل تمكَّنتم من تحديد سبب الوفاة بصورة مبدئية ؟

أجابه خبير المعمل الجنائى وهو يشير إلى قمة التل الصخرى الذى ترقد أسفله الجثة قائلًا :

– يبدو أنه سقط من فوق هذا المرتفع الصخرى وأدَّى سقوطه إلى ارتطامه ببعض تلك الصخور الحادة المدببة كما ترى مما أدى لتعرُّضه لعدة إصابات بالغة فى العمود الفقرى والقفص الصدرى والرأس .

وأشار إلى رأس الضحية مستطردًا :

– ومن فحصى الأول للجثة أرى أن السبب المباشر للوفاة ناجم عن تلك الإصابة فى الرأس والتى أدت إلى تهتك فى عظام الجمجمة لكن الصورة ستبدو أكثر وضوحًا بعد نقل الجثة إلى المعمل الجنائى وإجراء فحوصات دقيقة عليها .

وضع (حاتم) يديه حول خصره وهو يلتفت إلى كل المحيطين به قائلا :

– هل تمكَّن أحدكم من التعرُّف على شخصيته ؟

قال أحدهم متحدثًا :

ـ لم نتمكن حتى الآن من ذلك .. فلا يوجد لدينا أية أوراق تدل على شخصيته .. لا بطاقة هوية .. ولا أية أوراق أخرى تمكننا من التعرُّف عليه .

تحدث آخر قائلًا :

ـ لقد تحفظنا على الصياد الذى عثر على الجثة .. لكن هو الآخر لا يعرف أى شىء عن الرجل حيث أخبرنا بأنه عثر عليه مصادفة بعد أن أتى إلى الجزيرة سابحًا ولم يجد معه أى شىء يدل على هويته .

جثا (حاتم) على ركبتيه مرة أخرى ليلقى نظرة ثانية على المتوفى قبل أن ينهض وهو ينفض الرمال عن يديه قائلًا لزملائه :

ـ حسن .. يمكن نقل الجثة الآن إلى الطب الشرعى .

ثم استدار إلى أحد زملائه مردفًا :

ـ أين ذلك الصياد الذى عثر على المجنى عليه ؟

نادى زميله على الرجل الواقف على مسافة قريبة منهم قائلًا :

ـ تعالَ يا (يوسف) .

اقترب الرجل بينما كان (حاتم) يلقى نظرة إلى قمة المرتفع الصخرى مغطيًا عينيه براحته تجنبًا لأشعة الشمس .

وما لبث أن خفض بصره لينظر إلى الرجل قائلًا :

ـ أنت الذى عثرت على الجثة ؟

ـ أجل .

ـ أخبرونى أنك صياد وأنك تجيد السباحة أيضًا .

ـ أجل يا سيدى .

لف ذراعه حول كتف الرجل وهو يسير معه متبسطًا بعيدًا عن موقع الحادث ليقول :

ـ اسمع يا (يوسف) أريدك أن تروى لى ما حدث بالتفصيل .

ـ كنت أسبح كالعادة بعد انتهاء الصيد تاركًا حصيلة ما صدته برفقة زميلى .. وواصلت العوم حتى وصلت إلى تلك الجزيرة .. وبينما كنت أستريح قليلًا سمعت صوت أنين على مقربة منى .

وسرعان ما رأيت ذلك الرجل غارقًا فى دمائه وهو يصارع الموت .

كان راقدًا على ظهره بين الصخور على النحو الذى رأيتموه عليه وقد توقف عن الأنين والحراك تمامًا حينما اقتربت منه مما جعلنى أظنه ميتًا ، لكنه تنبه فجأة ممسكًا بيدى وهو يحدق فىّ بنظرة ملأتنى رعبًا .

وقد أخذ يغمغم بكلمات غير مفهومة .. ثم ما لبث أن تراخت يداه بجواره مسلمًا الروح أمامى ، فسبحت عائدًا إلى الشاطئ للإبلاغ عما رأيته .

ـ حسنًا .. وما الذى قاله لك قبل موته ؟

ـ فى الحقيقة لا أتذكر ما قاله جيدًا .. فقد كنت مضطربًا للغاية فى تلك اللحظة .

قال له ملحًا :

ـ حاول أن تتذكر .

فكر الرجل قليلًا .. ثم قال :

ـ أظن أنه قال شيئًا عن شخص يدعى (عنتر) أو (زعتر) .. لا .. لقد قال (عنتر) .. أجل .. فقد أمسك بذراعى مرددًا .. (عنتر) (عنتر) غير معقول .. لماذا ؟ هذه كانت العبارة الوحيدة التى قالها قبل وفاته .

ـ هل أنت واثق أن هذا هو كل ما قاله ؟

ـ أجل .. لم يقل شيئًا عدا ما ذكرته .

ـ ألم تلحظ شيئًا ما على الرجل قبل وفاته ؟

ـ لا شيء عدا تلك النظرة الغريبة الجاحظة فى عينيه .. لم تكن نظرة رجل يتألم بل بدت وكأنها تنم عن إحساس هائل بالخوف أو الدهشة أو كليهما معًا .

توقف (حاتم) عن السير ليجلس فوق إحدى الصخور الضخمة فى مواجهة الرجل قائلًا :

ـ لقد علمت أنك عثرت على بعض الأوراق فى جيب المتوفى وأنك تركتها بجواره قبل أن تذهب للإبلاغ عن الحادث .. لكن حينما اصطحبك رجال الشرطة إلى هناك لم يجدوا شيئًا من تلك الأوراق .

ـ هى لم تكن أوراقًا .. بل ورقة واحدة فقط كنت وجدتها فى حافظته .. لكنها اختفت كما اختفت معها الحافظة أيضًا .

ـ لابد أنها لم تختفِ من تلقاء نفسها .

ـ أقسم لك يا سيدى أننى لا أعرف كيف اختفت تلك الورقة والحافظة .

لقد عثرت عليها فى جيب الرجل وعندما فتحتها لمحاولة معرفة هويته أو أى شيء يدل على شخصيته أو يشير إلى عنوانه لم أجد سوى تلك الورقة بداخلها فألقيت نظرة سريعة على الكلمات المكتوبة فيها ثم أعدتها للحافظة ثانية وقررت أن أعيدها إلى جيبه ريثما يحضر رجال الشرطة ويطلعون عليها بأنفسهم ، لكن قبل أن أفعل تنبه الرجل وأمسك بذراعى على نحو ما قلته لك مما أثار فزعى وجعلنى أُسقط الحافظة بجواره على الأرض .

عقد (حاتم) ذراعيه فوق صدره وهو ينظر إليه قائلًا :

ـ حسنًا .. وما الذى وجدته داخل المحفظة أيضًا عدا تلك الورقة ؟

ـ لا شىء .

ـ (يوسف) .. من الأفضل أن تكون صريحًا معى .. إذا كنت قد عثرت على مبلغ من المال مثلًا وأردت أن تحتفظ به لنفسك يمكننى أن أتغاضى عن ذلك .. لكنى أتحدث عن أى أشياء أخرى يمكن أن تكون قد عثرت عليها ....

قاطعه مستنكرًا وهو يقول :

ـ أنا رجل بسيط الحال لكنى شريف يا سيدى ولا يمكن أن أفعل شيئًا كهذا .. أقسم لك أنه لم يكن يوجد بداخل تلك المحفظة أى شىء آخر عدا الورقة التى أخبرتك عنها .

ـ حسنًا .. وما الذى كان مكتوبًا فى تلك الورقة ؟ لا تقل لى إنك لا تذكر هذا أيضًا .

ـ كان بها عنوان .. ربما عنوان المتوفى .. أظن أنه كان (١٥ شارع محطة الرمل ـ الدور الثالث) .

ـ هل هذا هو كل شىء ؟

ـ بلى .

ـ ألم تكن هناك أسماء أو عناوين أو أرقام هواتف أخرى ؟

ـ ليس أكثر مما ذكرته .

ـ ألم تعثر معه على هاتف محمول ؟

ـ لم يكن هناك أى شىء عدا الحافظة وتلك الورقة .

أبعد بصره عن الرجل متطلعًا إلى البحر وهو يفكر للحظات قبل أن يلتفت إليه ثانية .. وهو يقول :

ـ ألم يسبق لك رؤية المجنى عليه من قبل ؟ أقصد فى أبو قير أو أى مكان آخر فى (الإسكندرية) .

ـ كلا .. ومن الواضح أنه غريب عن المنطقة لأننى أعرف معظم أهلها تقريبًا .. كما أننى أتذكر الوجوه التى أراها جيدًا .

عاد (حاتم) ليتطلع إلى الجزء العلوى من المرتفع الصخرى والممتد فى انحداره حتى الشاطئ .. بينما وقف الرجل متململًا .

ثم ما لبث أن قال له :

ـ عفوًا يا سيدى .. هل يمكننى أن أنصرف الآن ؟

لكنه تجاهل سؤاله قائلًا :

ـ قلت لى إنك جئت إلى هذه الجزيرة من قبل ؟

ـ عدة مرات .

ـ إذن لا بد أن لديك خبرة كبيرة بهذا المكان .

ـ إنها مجرد جزيرة صغيرة تمتلئ بالصخور .. لكنى أعرف كل شبر فيها .

أشار إلى القمة الصخرية قائلًا :

ـ إذن ما رأيك لو ساعدتنى فى الصعود إلى تلك القمة ؟

نظر إليه بدهشة قائلًا :

ـ لكن ذلك ينطوى على مخاطرة كبيرة .. خاصة بالنسبة لمن لم يعتد تسلق تلك المرتفعات الصخرية الحادة .

ـ لذا أحتاج مساعدتك .. فهل تجد صعوبة فى ذلك .

ـ بالنسبة لى فقد اعتدت تسلقها عدة مرات من قبل .. لكن قد يكون الأمر صعبًا بالنسبة لك .. فبعض الصخور فضلًا عن حدتها فهى زلقة وأية حركة خاطئة ربما

ابتسم (حاتم) قائلًا :

ـ اطمئن فأنا مستعد لاتباع تعليماتك باعتبارك خبيرًا .

أظهر الرجل براعة حقيقية وهو يقوده لتسلُّق التل الصخرى صاعدًا بين الصخور بخفة ومهارة .. بينما تبعه (حاتم) ببطء وحذر .

لم يكن التل الصخرى شاهق الارتفاع .. فلم يكن ارتفاعه يزيد على عشرين مترًا تقريبًا وإن بدا به بعض الانحدار الحاد .. أما صخوره فكانت حادة ومدببة كما لو كانت سنون حراب بينما بدا البعض الآخر زلقًا .

وقد حذره الرجل قائلًا :

ـ يجب أن تتبيَّن موضع قدميك جيدًا فبعض الصخور هنا تشبه قطع صابون زلقة .

قال (حاتم) وهو ينظر إلى موطئ قدميه :

ـ أنه تشبيه دقيق بالفعل .

وبعد جهد شاق وصلا إلى قمة التل .

حيث بدت الأرض فوقه أكثر استواءً لكن مساحتها كانت أكثر ضيقًا وتأخذ شكل قمة المثلث .

كما كانت جافة وغير زلقة كبقية منحدرات التل .

وقد حدَّثه (يوسف) قائلًا :

ـ الأمواج لا تصل إلى هذا الارتفاع حتى خلال فترة اشتداد الرياح مما يجعل قمة التل أكثر جفافًا من منحدراته .

نظر (حاتم) إلى أسفل متأملًا وهو يفكر فى ظروف الحادث واللغز الكامن وراء مقتل هذا الرجل المجهول الهوية والسبب الذى دفعه للمجىء إلى مكان كهذا وصعود ذلك التل الحاد التضاريس ليلقى حتفه من فوقه .

لو كان هذا انتحارًا .. فإنها تبدو طريقة غريبة للانتحار .

ولو كانت قدماه قد انزلقت بالرغم منه فوق هذا التل ليسقط متعرضًا لحدة صخوره .. فما هو سبب صعوده منذ البداية لمكان لا يغرى بشىء سوى التحدى .. تحدى الطبيعة ؟

وما علاقة كل ذلك بهذا الاسم الذى ذكره قبل موته (عنتر) ؟

وظلت كل تلك الأسئلة معلقة فى ذهنه وهو يرافق الصياد فى هبوط التل الصخرى .. والذى لم يكن أقل مشقة وخطورة من الصعود إليه .

وما لبث أن استعد لمغادرة الجزيرة ومعه بقية زملائه .

لكن قبل أن يستعد لركوب القارب استرعى انتباهه شيئًا ما كان عالقًا بين الصخور الملاصقة للشاطئ مباشرة .

فعاد ليجثو على ركبتيه محاولًا التعرف عليه .

حيث تبيَّن له أنها مجرد رقائق خشبية صغيرة الحجم لا تزيد فى سمكها على أربعة سنتيمترات تقريبًا .. مطلية باللون الأحمر وقد خدشت بعض أطرافها .

فأخرج منديله ليلتقطها به ويضعها فى جيبه قبل مغادرة الجزيرة .

***

وعاد إلى مكتبه ليقف أمام نافذة حجرته وفى يده كوب الشاى مستعرضًا فى ذهنه تفاصيل القضية التى أنيط به مهمة التصدى لها .

وبعد برهة من الوقت قام بفرد المنديل الذى يحتوى على الرقائق الخشبية فوق المكتب ليُلقى عليها نظرة متأنية وهو يتساءل عن سبب وجودها فى هذا المكان النائى .. وما إذا كان لها علاقة بذلك القتيل المجهول أم أن أمواج البحر قد حملتها إلى تلك الجزيرة ضمن العديد من الأشياء التى تأتى بها الأمواج إلى الجزر والشواطئ .

وبينما هو منهمك فى التفكير دخل عليه النقيب (عاطف) ليحدثه قائلًا :

ـ مع الأسف يا فندم لم تسفر تحرياتنا حتى الآن عن أى شىء يتعلّق بشخصية المجنى عليه .

سأله باهتمام قائلًا :

ـ وماذا عن العنوان المكتوب فى تلك الورقة ؟

ـ لقد تبيّن لنا أنه عنوان محل تجارى صغير .. وعندما سألنا العاملين فى ذلك المحل والمحال المجاورة عن الرجل وأطلعناهم على صورته لم يتعرّف عليه أحد منهم .. كلهم أجمعوا على أنهم لا يعرفون عنه شيئًا ولم يسبق لهم أن رأوه من قبل .

قال (حاتم) وقد ارتسمت ملامح خيبة الأمل على وجهه :

ـ كنت آمل أن يساعدنا هذا العنوان فى التوصُّل لشىء ما .. ومع ذلك أريد أن يوضع صاحب المحل التجارى والعاملون فيه تحت المراقبة فلعل لأحدهم علاقة بالمجنى عليه حرص على إخفائها .

ـ هذا ما قمنا به بالفعل ولو أنى شخصيًا أستبعد ذلك فلم يبد على وجه أحدهم ما ينم على وجود أية صلة له بالقتيل .

ـ ليس هناك شىء مستبعد يا (عاطف) فبعضهم بارع فى إخفاء الحقائق .

على أى حال سنحتاج إلى استدعاء ذلك الصياد مرة أخرى ، فليس لدينا أى طرف خيط فى هذه القضية عدا العنوان الذى حصلنا عليه وربما استطاع أن يُفيدنا فى المستقبل بشىء جديد .

وما لبثا أن سمعا طرقًا على الباب أعقبه دخول أحد الضباط ليقدم ظرفًا مغلقًا لـ (حاتم) قائلًا :

ـ ها هو تقرير الطبيب الشرعى .

سارع (حاتم) بفتح الظرف ليقرأ التقرير .. ثم ألقى به على المكتب قائلًا :

ـ إنه لا يضيف أى جديد .

(عاطف) :

ـ من يدرى لعل الأمر لا يتعلَّق بوجود جريمة وربما كانت الوفاة طبيعية نتيجة انزلاق المجنى عليه من فوق المنحدر الصخرى مما أدَّى لارتطامه بتلك الصخور ليلقى حتفه .

وضع (حاتم) يديه حول خصره قائلًا :

ـ ربما .. لكن ما هو الدافع وراء ذهاب الرجل إلى مكان كهذا وتسلُّق تل صخرى محفوف بالمخاطر إلا إذا كان لديه دافع وراء ذلك ؟

لقد دققت النظر فى حذاء القتيل وتبيَّن لى أن نعله قد صُنع خصيصًا للسير فى الأماكن الزلقة مما يعنى أنه ذهب إلى هناك وفى نيته الصعود إلى ذلك التل وأنه كان حريصًا على ألا يتعرَّض للانزلاق من فوقه .

ـ ربما هو حب المغامرة .

ـ وربما أن شخصًا ما قد دفعه من فوق ذلك المرتفع الصخرى ليلقى حتفه .

ـ إذا كان ما تقوله صحيحًا فلابد أن هذا الشخص كان على درجة كبيرة من الحرص بحيث يخفى كل معالم الجريمة بما فى ذلك ما يدل على شخصية المجنى عليه .

هـذا بافتـراض أن الصيـاد الـذى عثـر عـلى الجثـة كـان صادقًا فـى كـل ما أخبرنا به .. وأنه لم يعثر على أى أشياء أخرى تدل على هوية المتوفى عدا تلك الورقة المدون عليها العنوان والذى لم يثبت لنا حتى الآن صحته .

ـ وهذا ما دعانى لإعادة استدعائه .

وما لبثا أن سمعا طرقًا على الباب أعقبه دخول شرطى ليخبر (حاتم) بحضور (يوسف) الصياد .

ـ أدخله سريعًا .

قال الرجل وقد بدا كما لو كان يتعثَّر فى خطواته :

ـ مساء الخير يا فندم .

ـ أهلًا يا (يوسف) .. تعالَ .. اجلس .

قال له مرتبكًا :

ـ يبدو أننى ارتكبت خطأ ما .

دعاه للجلوس مجددًا قائلًا :

ـ اجلس يا (يوسف) .. عن أى خطأ تتحدث ؟

***

الفصل الثالث

ـ العنوان .. العنوان الذى وجدته مدونًا فى الورقة التى اطلعت سيادتك عليها .

ـ آه .. ١٥ شارع محطة الرمل ـ الدور الثالث .

ـ أظن أنه قد اختلط علىَّ الأمر بسبب صدمتى فيما رأيته وارتباكى لكنى تذكرت العنوان .

www.riwaya.ga

حينما ألقيت برأسى على الوسادة وأعدت التفكير فى أحداث ذلك اليوم، تذكرت أن العنوان الصحيح كان ١٥ شارع الرمل الدور الثالث وليس شارع محطة الرمل كما ذكرت من قبل .. هذا ما كان مكتوبًا فى الورقة بالضبط .. وكما ترى فإن الفرق بين العنوانين بسيط ويتلخص فى كلمة واحدة .

نظر إليه باهتمام قائلًا :

ـ هل أنت واثق من ذلك ؟

ـ أجل وهذا ما دعانى للمجىء لسيادتك على الفور بعد أن تبيَّن لى هذا الخطأ .

ـ حسن .. أشكرك على مبادرتك .. يمكنك أن تذهب الآن .. لكن لا تبتعد كثيرًا عن (الإسكندرية) خلال الفترة القادمة فقد نحتاج إليك .

ـ أنا فى خدمتك دائمًا يا سيدى .

التفت (حاتم) إلى زميله بعد رحيل الرجل قائلًا :

ـ هل رأيت .. كلمة واحدة أحدثت الفارق ؟

ـ هذا يعنى أنه يتعيَّن علينا إجراء تحريات جديدة بشأن العنوان الذى ذكره .

صمت (حاتم) برهة وهو يفكر قبل أن يقول :

ـ سأشارك معكم فى البحث هذه المرة بنفسى .

***

ذهب (حاتم) إلى العنوان المذكور فى المبنى رقم (١٥) صاعدًا إلى الطابق الثالث .

حيث وجد شقتين فى الطابق تم دمجهما معًا ليتحولا إلى بنسيون (نُزل) تمتلكه إحدى السيدات التى تقوم بتأجير حجراته للنزلاء الذين يفدون إليها .

وما إن دخل إلى البنسيون حتى سارعت السيدة (ألفت) صاحبته لاستقباله بترحاب قائلة :

ـ أية خدمة ؟

ـ أنت صاحبة البنسيون .

ـ أجل .

أبرز لها بطاقة هويته قائلًا :

ـ أنا (حاتم الصاوى) من المباحث الجنائية .

اضطربت المرأة عندما عرفها بنفسه .. وقد استطرد قائلًا :

ـ أريد أن أسألك عن أحد الاشخاص .

وصمت برهة قبل أن يستطرد :

ـ فى الحقيقة أنا لا أعرف اسمه لكن معى صورته .

ـ وما الذى يجعلك تظن أننى أعرفه ؟

ـ ورقة عثرنا عليها معه كان مسجلًا فيها عنوان هذا البنسيون وأخرج الصورة التى صورها له خبراء المعمل الجنائى بعد وفاته ليقدمها لها قائلًا :

ـ ربما أمكنك التعرف عليه لو دققتى النظر جيدًا فى صورته .

شهقت المرأة بفزع وهى تنظر إلى الصورة قائلة :

ـ أستاذ (نافع) .. غير معقول .

سألها باهتمام قائلًا :

ـ اسمه (نافع) .

قالت وملامح الفزع ما زالت مرتسمة على وجهها :

ـ أجل .. لكن .. لكنه يبدو ....

ـ ميتًا .. أجل .. فقد عثر عليه ميتًا فى إحدى الجزر البحرية الصغيرة بالقرب من أبى قير .

غمغمت المرأة بأسى قائلة :

ـ أستاذ (نافع) .. يا له من مسكين .

ـ هل كان نزيلًا لديك ؟

ـ لقد أقام فى البنسيون لمدة ثلاثة أسابيع كان خلالها مثالًا للنزيل الملتزم فى كل شىء .

فقد كان هادئ الطباع وغير مثير للمشاكل .. طلباته قليلة ويسدد الإيجار بانتظام .

ـ وماذا أيضًا ؟ أقصد ما الذى تعرفينه عنه غير ذلك ؟

هزت كتفيها قائلة :

ـ لا شىء .. فالرجل كان قليل الكلام ولا يميل للاختلاط بالآخرين .

ـ وما هى بياناته الشخصية .. اسمه بالكامل .. ومحل إقامته وعمله إلى غير ذلك ؟ أنت تطلعين على بطاقات الهوية الخاصة بنزلائك بالطبع .

قالت له بارتباك :

ـ آه بالطبع .. لكن الذين يترددون على البنسيون كثيرون وأنا لا أحتفظ فى ذاكرتى بكل البيانات الخاصة بهم .

على أية حال فكل شىء مقيد هنا فى الدفتر الخاص بالنزلاء ويمكن لسيادتك أن تطلع عليه .

وأخرجت الدفتر لتقلب صفحاته وهى تردد اسم (نافع) .. وما لبثت أن توقفت فجأة وهى تتطلع إلى الصفحات بدهشة قائلة :

ـ شىء غريب .. الصفحة .. الصفحة التى تضمنت اسم الأستاذ (نافع) وبياناته .

ـ ماذا بها ؟

ـ لقد انتزعت من مكانها فى الدفتر .

حدقها بنظرة ثاقبة قائلًا :

ـ ما معنى ذلك ؟

قدمت له الدفتر قائلة :

ـ انظر بنفسك .

شاهد آثار انتزاع الصفحة من مكانها داخل الدفتر قبل أن يعيده إليها قائلًا :

ـ وكيف تفسرين ذلك ؟

قالت له مضطربة :

ـ لا أعرف .

ـ ولم هذه الصفحة بالذات ؟

ـ صدقنى لا أعرف .

ـ ألا تحتفظين بالدفاتر كلها فى درج مكتبك ؟

ـ وأغلق عليها بالمفتاح فى نهاية اليوم قبل ذهابى للنوم مباشرة .

لكن .. لكن قبل ذلك فالدفتر الخاص بالنزلاء يكون موجودًا فوق المكتب عادة لقيد أية بيانات جديدة خاصة بالنزلاء .

ـ هذا يعنى أنه يكون فى حوذتك معظم الوقت .

ـ أجل .. لكنى لا أكون جالسة طوال اليوم أمام المكتب فالظروف وشئون البنسيون قد تضطرنى لمغادرة المكان أوقاتًا كثيرة تاركة الدفتر فى مكانه المعتاد فوق المكتب .

ـ ألا يوجد من ينوب عنك فى حالة غيابك .

ـ بلى .. فابنى يساعدنى أحيانًا فى إدارة المكان إذا ما سمحت ظروفه بذلك .

ـ وأين هو ؟

ـ إنه مجند حاليًا فى الجيش .. وقد عاد إلى الخدمة بعد أن انتهت إجازته منذ بضعة أيام .

وهناك أيضًا (سليمان) الطباخ و(كريمة) التى تتولى شئون المكان وخدمة النزلاء .

ـ وكم عدد النزلاء لديك الآن ؟

ستة أشخاص بما فيهم المرحوم (نافع) .. أربعة رجال وسيدتان .

أطلق (حاتم) زفرة طويلة من صدره .

فهذا يعنى أنه سيتعيَّن عليه أن يسأل كل هؤلاء بما يعنيه ذلك من إضاعة الوقت فى استجوابات روتينية قد لا تسفر عن شىء ذى قيمة حقيقية .

وعاد ليسألها :

ـ ومتى رأيت هذه الصفحة فى مكانها بالدفتر قبل أن تنتزع على هذا النحو ؟

فكرت قليلًا .. ثم قالت :

ـ أظن منذ يومين حينما كنت أراجع بعض البيانات .

وعادت لتؤكد قائلة :

ـ أجل .. هذه الصفحة كانت فى مكانها بالدفتر قبل يومين .

ـ لكن لا بد أنك تعرفين اسم صاحب الصورة بالكامل على الأقل .

عادت لتفكر قليلًا .. قبل أن تقول :

ـ أجل كان اسمه (نافع صفوان العباسى) .

قضى اليوم بأكمله يطرح الأسئلة على النزلاء والعاملين فى المكان دون أن يتوصل لشىء مفيد .

وسرعان ما اتصل بأحد زملائه فى المباحث الجنائية (بالإسكندرية) قائلًا :

ـ أريد إرسال نشرة عاجلة باسم (نافع صفوان العباسى) إلى مصلحة الأحوال المدنية للحصول على كل المعلومات التى تتعلق به من خلال البيانات المدونة بشأنه .

وأغلق الهاتف وهو يشعر بشىء من الإرهاق تأهبًا لمغادرة البنسيون .

لكن قبل أن يصل إلى الباب الخارجى استوقفه أحد النزلاء قائلًا :

ـ هل تسمح لى يا سيدى ؟

استدار إليه وهو يستطرد قائلًا :

ـ أريد أن أقول شيئًا .

ـ تفضل .

قال الرجل مترددًا :

ـ أعترف أننى شخص فضولى بعض الشىء وقد تكون تلك عادة سيئة عندى لكن ربما أفادت فيما تبحث عنه .

ـ أنا مُصغٍ إليك .

عاد الرجل إلى تردده وهو يقول :

ـ مع ذلك فأنا لا أريد أن أزج بنفسى فى متاعب أنا فى غنًى عنها .

قال له باهتمام :

ـ قل ما تشاء دون أن تخشى شيئًا .

ـ فى الحقيقة حينما سألتنى بشأن الأستاذ (نافع) لم أصرح لك بكل ما أعرفه عنه .. أو بمعنى أدق قلت ما أعرفه عدا .. عدا بعض الأشياء ، فالرجل أخبرنى ذات يوم أن لديه قريب يتردد عليه من آن لآخر فى منزل صغير فى العصافرة يطل على البحر مباشرة .. أظنه قال إن اسمه (فاروق) وأنه ابن عمه .

وقد سمعته وهو يتحدَّث إليه فى إحدى المرات هاتفيًا .

أمسك (حاتم) بذراع الرجل ليقتاده إلى أريكة قريبة من المدخل وهو يدعوه للجلوس قائلًا باهتمام :

ـ أكمل .

ـ بالرغم من أن المرحوم (نافع) كان قليل الكلام لكنى شعرت وأنا أتحدّث معه أنه يخفى سرًا ما حرص على إخفائه عن الجميع عدا ابن عمه هذا .

ـ وما الذى أوحى إليك بذلك ؟

ـ سمعته ذات يوم وهو يتحدّث مع ابن عمه بعد عودته من الخارج ورغم أنه كان يتحدّث إليه فى الهاتف بصوت خفيض إلا أن أذنى التقطت ما قاله .. حيث قال :

ـ إذن فقد انتهى الأمر .. سأمر عليك .

كان يبدو متجهمًا وحزينًا للغاية بعد أن أغلق سماعة الهاتف مما دفعنى أن أتطفل عليه وأدخل إلى حجرته لأسأله عن سبب ما يبدو عليه من حزنه .

فوجدته جالسًا على حافة فراشه وهو يجهش بالبكاء ، حاولت أن أستفسر منه عن الأمر .. لكنه بدا وكأنه لا يشعر بوجودى واستمر فى نحيبه وهو يتمتم قائلًا :

ـ لما خذلتنى يا (فاروق) رغم كل ما وضعته فيك من ثقة .

وفجأة التفت إلىّ كما لو كان قد انتبه فجأة إلى وجودى مبديًا اعتذاره عن الحالة التى يبدو عليها .. ثم طلب منى بلطف أن أغادر حجرته ، وعندما حاولت أن أفهم منه سبب حزنه وبكائه رفض أن يقول لى شيئًا وأصر على مغادرتى للحجرة فانصعت له طائعًا .

لكن من الواضح أنه كان يمر بحالة نفسية سيئة للغاية .

ـ ومتى حدث ذلك ؟

ـ منذ تسعة أو عشرة أيام تقريبًا .

ـ هل هذا هو كل شىء ؟

عاد إلى تردده للحظة قبل أن يُردف قائلًا :

ـ فى أحد الأيام القريبة رأيته يدخل إلى حجرته ومعه حقيبة جلدية بنية اللون دون أن يلقى علىّ حتى بالتحية وملامح الاضطراب واضحة على وجهه مما أثار استغرابى .

لم يكن هناك أحد فى البنسيون سواى .. ودفعنى الفضول مجددًا أن أتلصص عليه من ثقب باب حجرته .. فرأيته يحكم إغلاق نافذة الحجرة ويسدل عليها الستائر .

ثم قام بإفراغ محتويات الحقيبة على فراشه ، وقد فوجئت أنها كانت تحتوى على العديد من رزم الأوراق النقدية بالإضافة لبعض الأوراق والصور .

ـ تقول رزم نقدية ؟

ـ أجل .. ولا أخفى عليك سيدى المحقق أن الشيطان لعب بعقلى وقتها وفكرت فى انتهاز أول فرصة تسنح لى لمغافلته والاستيلاء على ذلك المال فقد كان مبلغًا كبيرًا وكنت أمر وقتها بضائقة مالية شديدة ، لكنى أقسم بالله أننى نفضت عن رأسى تلك الفكرة الشيطانية سريعًا .. وأرجو ألا يكون فيما قلته ما يورطنى فى تلك القضية .

ابتسم (حاتم) قائلًا :

ـ بل هى شجاعة منك أن تعترف بذلك .

ـ على أية حال فالرجل لم يحتفظ بالمبلغ فى دولابه .. بل أعاده إلى الحقيبة وأخذه معه مغادرًا الحجرة سريعًا .

كن حينما رآنى واقفًا بالقرب من الباب رمانى بنظرة نارية وكأنه يعرف كنت أراقبه ، ثم ما لبث أن غادر البنسيون مغلقًا الباب خلفه بعنف ودون لقى علىَّ التحية مرة أخرى .

ـ وهل رأيته حينما عاد إلى البنسيون بعدها ؟

ـ أجل .. فقد عاد يومها فى ساعة متأخرة من الليل .. وكنت وقتها جالسًا الردهة أشاهد التلفاز مع اثنين من النزلاء حينما أتى وألقى علينا تحية خبة ودخل إلى حجرته مباشرة .

ـ هل كانت الحقيبة بحوذته ؟

ـ لم ألحظ ذلك .

ـ ألديك أية ملحوظة أخرى بشأن الرجل ؟

ـ لا شىء عدا أنه كان يبدو عابسًا ومكتئبًا معظم الوقت .

بت (حاتم) على كتفه قائلًا :

ـ أشكرك على تلك المعلومات .. قلت لى ما اسمك ؟

ـ (شوقى) اسمى (شوقى السيد) .

ـ أشكرك يا (شوقى) على تعاونك .

***

الفصل الرابع

فكر (حاتم) قليلا وهو جالس فى سيارته قبل أن يتناول هاتفه ليتصل قائلًا :

ـ مساء الخير يا (عاطف) .. هل أيقظتك من النوم ؟

قال (عاطف) وهو يغالب تثاؤبه :

ـ أبدًا يا فندم .. لقد انتهيت من تناول العشاء لتوى وكنت أستعد بعدها للنوم .

ـ آسف لأننى سأضطر لحرمانك من النوم ومغادرة المنزل الآن .

أخفى (عاطف) تبرمه قائلًا :

ـ تحت أمرك يا فندم .

ـ أريدك أن تتوجَّه ومعك أحد الزملاء إلى نقطة العصافرة للبحث عن شخص يُدعى (فاروق) لديه منزل قريب من البحر ، أنا لا أعرف اسم والده لكنى أظن أن جده يدعى العباسى لا أريد أن تنقضى تلك الليلة قبل أن تتمكن من الوصول لمكان هذا الشخص .. على أن يتم ذلك بمنتهى السرية والكتمان ودون أن يشعر الرجل بأنكما تبحثان عنه .. ثم تبلغنى بما توصَّلت إليه .. فأنا أرغب فى مفاجأته .

أنهى (عاطف) المكالمة وهو يغمغم قائلًا :

ـ أذهب للعصافرة لأبحث عن شخص لا أعرف عنه شيئًا سوى اسمه واسم جده .. يا لها من مهمة !

بقى (حاتم) جالسًا طول الليل فى الشرفة المطلة على البحر يرقب حركة الأمواج الرتيبة وهو شارد بأفكاره وقد بدا كل شىء حوله ساكنًا وشاعريًا .

لكن ذهنه كان على النقيض من ذلك مرهقًا بالتفكير .

وقد أخذ يستعرض الأحداث الماضية وما توافر لديه من معلومات قليلة بشأن تلك الوفاة الغامضة .

وما لبث أن رن الهاتف بجواره فاعتدل ليرد على المتحدث .. حيث سمع صوت (عاطف) يأتيه قائلًا :

ـ جمعنا قدرًا من المعلومات لا بأس به حول ذلك المدعو (فاروق) .

اسمه بالكامل (فاروق حلمى العباسى) . يعمل بمصلحة الجمارك ولديه منزل صغير مكون من طابقين ورثه عن والده يطل على البحر مباشرة ، كان متزوجًا لكنه انفصل عن زوجته منذ خمس سنوات وليس له أبناء ، وحسب ما أخبرنا به جيرانه فإنه شخص مسالم لا يميل إلى الاختلاط كثيرًا .. ويقتنى كلبًا شرسًا من نوع الدوبرمان يرافقه أينما ذهب .

انفرجت أسارير (حاتم) قائلًا :

ـ عظيم .. هذا ما كنت أحتاجه .. أعطنى عنوان الرجل تفصيليًا ثم اذهب أنت وزميلك لتخلدا إلى النوم والراحة .

***

توجُه (حاتم) إلى العصافرة فى اليوم التالى ليقابل ذلك الشخص .

حيث طرق الباب عدة مرات قبل أن يفتح له رجل متوسط القامة .. قصير الشعر ذو بشرة سمراء وعينان غائرتان .

ـ أنت الأستاذ (فاروق) ؟

نظر إليه بارتياب قائلًا :

ـ أية خدمة ؟

ـ أنا (حاتم الصاوى) من المباحث الجنائية .

وأظهر له بطاقة هويته لينقل الرجل بصره بينها وبين (حاتم) وقد بدا عليه الارتباك وهو يسأله قائلًا :

ـ هل أنا مدان بشىء ؟

قال (حاتم) بنبرة هادئة :

ـ لقد جئت للتحدث معك قليلًا فقط .. فهل تسمح لى بالدخول ؟

أفسح له الطريق وهو يقول متلعثمًا :

ـ آه طبعًا .. تفضل .

تقدَّم إلى الداخل وقد بدا له من الوهلة الأولى أن صاحب المنزل من الطبقة المتوسطة .. فقد كان الأثاث متواضعًا وإن لم يكن شديد البساطة .

دعاه إلى حجرة الضيوف .. لكن (حاتم) أشار إلى الأنتريه الذى يتوسط الردهة قائلًا :

ـ لا داعى لذلك.. دعنا نجلس فى الردهة فهى أقرب للشرفة حيث هواء البحر المنعش .

وما إن استقر (حاتم) فوق أحد المقاعد حتى بادره بالسؤال قائلًا :

ـ هل لك ابن عم يدعى (نافع) ؟

نظر إليه باستغراب قائلًا :

ـ هه .. (نافع) .. آه .. هو ابن عمى بالفعل .. هل ارتكب أى مخالفة قانونية ؟

قدم له الصورة وهو يرقب قسمات وجهه قائلًا :

ـ هل هذه هى صورته ؟

حدق فى الصورة وقد اتسعت حدقتاه قائلًا بانزعاج :

ـ أجل إنه هو .. لكنه يبدو فى الصورة وكأنه ....

قال (حاتم) وهو ينظر إلى أصابعه المرتعشة وهى تمسك بالصورة :

ـ هذه الصورة أُخذت له بعد فترة قصيرة من وفاته .

سقطت الصورة من يد الرجل وهو يكاد يصرخ قائلًا :

ـ (نافع) .. (نافع) مات .. غير معقول .

تناول (حاتم) الصورة من الأرض ليعيدها إلى جيبه قائلًا :

ـ يبدو أنك لم تعلم بموته .

قال وقد ارتسمت ملامح التأثر على وجهه :

ـ لقد كان معى منذ ثلاثة أيام فقط .. أنا لا أصدق .

نهض (حاتم) ليدور حول المقعد الجالس عليه الرجل .. واضعًا يده على كتفه وهو يقول :

ـ يؤسفنى أن أكون أول من يُبلغك بذلك .. لكنى مضطر أن أطلب منك تنحية أحزانك جانبًا الآن لتساعدنى فى التعرف على سبب الوفاة .

قال له بأسى :

ـ ألم تُعرف الأسباب بعد ؟

ـ كلا .. فالوفاة وقعت منذ يومين .. حيث عثر على جثته فى إحدى الجزر الصخرية المواجهة لشاطئ أبى قير .. وقد وجدت بها إصابات عديدة .

انتفض الرجل واقفًا وهو يهتف قائلا :

ـ أبى قير .. والجزيرة الصخرية .. وما الذى دعاه للذهاب إلى ذلك المكان ؟

ـ هذا ما أود أن أعرفه منك .

هم بأن يقول شيئًا .. لكن بدا وكأنه تراجع عن ذلك قائلًا :

ـ أنا لا أعرف شيئًا عن سبب ذهابه إلى هذا المكان .

ـ ألم يخبرك أنه سيذهب إلى تلك الجزيرة يومًا ما أو ذهب إليها من قبل ؟

قال سريعًا :

ـ كلا .. ولا أعرف ما الذى جعله يخاطر بالذهاب إلى ذلك المكان الموحش .. خاصة أن (نافع) كان جبانًا بطبعه .

حدجه (حاتم) بنظرة ثاقبة قائلًا :

ـ يبدو أنك على دراية بالمكان .

ـ لقد ذهبت إلى تلك الجزيرة مرة أو مرتين من قبل .

ـ وما الذى دعاك للذهاب إلى ذلك المكان الموحش كما تقول ؟

ـ منذ فترة طويلة ذهبت أنا ومجموعة من أصدقائى إلى أبى قير وهناك قررنا التسابق سباحة حتى الجزيرة الصخرية بدافع اللهو والمغامرة .

وقبل أن يستطرد فى الحديث سمع (حاتم) صوت احتكاك شديد فى باب الغرفة المغلقة التى تقع فى مواجهة الردهة مباشرة أعقبه نباح وزمجرة كلب .. وقد بدا كما لو كان فى حالة هياج شديد .

فنظر إلى الباب قائلًا :

ـ يبدو أن لديك كلبًا محتجزًا فى هذه الحجرة .

قال الرجل متوترًا :

ـ أجل .. إنه كلبى (عنتر) .

« استرعى الاسم انتباه (حاتم) حيث ذكره على الفور بتلك العبارة التى قال الصياد إنها صدرت عن المجنى عليه قبل وفاته مباشرة : (عنتر) .. غير معقول .. لماذا ؟ »

ـ اسم الكلب (عنتر) .

ـ أجل .. إنه كلب مرخص لكنه يسبب لى أحيانًا بعض المشاكل مع الغرباء والزائرين مما يضطرنى إلى احتجازه فى غرفة مغلقة .

ـ من المفترض أنك مسيطر عليه ويخضع لأوامرك .

ـ هذا صحيح أنه مطيع غالبًا وأعرف كيف أسيطر عليه .. لكنى لا أستطيع أن أتحكم بالطبع فى مخاوف البعض منه .

فكثيرون يخافون من الكلاب ويخشون من اقترابها منهم خاصة عندما يكون فى حجم كلب مثل (عنتر) .

ـ أريدك أن تخبرنى ببعض المعلومات المتعلقة بابن عمك والتى يمكن أن تكون قد أدت إلى وفاته .

ـ لا أظن أنه سيمكننى إفادتك فى هذا الشأن .

قال له بثقة :

ـ ربما لا أشاركك هذا الرأى .

وفى تلك اللحظة كان الكلب قد نجح فى القفز من نافذة الحجرة إلى الأرض المجاورة .

وعاد ليثب إلى الشرفة القريبة من الردهة حيث يجلس صاحبه مع (حاتم) ليندفع نحوه مزمجرًا .

هب (حاتم) واقفًا فى حين تحول الرجل إلى كلبه قائلًا له بصرامة :

ـ (عنتر) .. ألن تتوقف عن أفعالك الحمقاء تلك ؟.. اجلس فى مكانك ولا تتحرك .

وسرعان ما انصاع الكلب لأوامر سيده جالسًا حيث أشار إليه وقد توقف عن زمجرته .

بينما اعتذر الرجل لـ (حاتم) قائلًا :

ـ آسف لما حدث .. هذا مثال للمشاكل التى يسببها لى (عنتر) أحيانًا .

عاد (حاتم) ليجلس وهو يرقب الكلب الذى أخذ يراقبه بدوره وفى عينيه نظرة عدائية وكأنه يتحين الفرصة للانقضاض عليه .

ـ من الواضح أنه يخضع لأوامرك .

ـ لقد ربيته منذ أن كان جروًا صغيرًا .. وهو (دوبرمان) أصيل من سلالة ممتازة .

أرجو ألا يترك تصرفه انطباعًا سيئًا لديك .. فهو ليس بمثل تلك الشراسة دائمًا .. لكنه يصبح متوترًا فى وجود الغرباء .. ومع ذلك فإنه إذا ما ألف شخصًا ما ووجد منه معاملة طيبة سرعان ما يعتاد عليه ويتوقف عن عدوانيته تجاهه .

ـ يبدو أنك تحب الكلاب كثيرًا .

ـ لست بحاجة لأن أقول لك الكثير عن كونها أكثر وفاءً وإخلاصًا من البشر .. (عنتر) هو أقرب صديق لى بالفعل .

ـ وماذا عن ابن عمك ؟.. هل كان من محبى الكلاب أيضًا ؟

ـ (نافع) .. لا بالعكس كان يخشاها للغاية .. لكنى استطعت أن أجعله يتآلف مع (عنتر) بعد فترة من الوقت وبعد عدة محاولات من جانبى .

انحنى (حاتم) بجسده إلى الأمام قليلًا قائلًا :

ـ اسمعنى جيدًا يا سيد (فاروق) .. هناك احتمال كبير بأن تكون وفاة (نافع) ابن عمك غير طبيعية .. أقصد أن هناك احتمالًا أن يكون قد قتل .

نظر إليه بدهشة قائلًا :

ـ قتل .. ولكن لماذا ؟ وكيف ؟

ـ هذا ما أسعى لمعرفته .. لقد قلت إنك لا تعرف السبب الذى يدعو شخصًا مثل (نافع) للذهاب إلى تلك الجزيرة الموحشة .. وكذلك أنا أيضًا لا أرى مبررًا منطقيًا يدعوه لتسلق إحدى التلال الصخرية المرتفعة فى الجزيرة قبل أن يهوى من فوقها صريعًا على نحو ما وجد عليه إلا إذا كان هناك سبب قوى دفعه لذلك .

وفى هذه الحالة من المرجح أن يكون هناك أحد تفسيرين لموته على هذا النحو .. فإما أن تكون قدمه قد انزلقت من فوق المنحدر الصخرى للتل أثناء صعوده أو هبوطه مما أدى إلى سقوطه من هذا الارتفاع وارتطامه أثناء السقوط بالصخور الحادة المدببة على نحو أدى إلى أن يلقى مصرعه.

أو أن أحدهم قام بدفعه من فوق التل ليؤدى به إلى نفس النهاية .

غمغم (فاروق) قائلًا :

ـ أو ربما ألقى هو بنفسه لينتحر .

ـ هل شعرت منه فى الآونة الأخيرة ما يدل على رغبته فى الانتحار ؟

ـ فى الفترة الأخيرة كانت تسيطر عليه حالة اكتئابية شديدة وكان يحدثنى كثيرًا عن الموت وعدم اكتراثه بالحياة .

ـ إذن فأنت ترجح أن يكون قد مات منتحرًا .

ـ ليس لدىَّ تفسير سوى ذلك .. خاصة أن (نافع) لم يكن له أعداء بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة .

ـ وما سبب تلك الحالة الاكتئابية التى أصابته ؟

ـ حاولت أن أعرف منه لكنه رفض أن يخبرنى عن السبب .

ـ كيف وأنت حسب معلوماتى كنت من أقرب الأشخاص إليه وقريبه الوحيد تقريبًا فى (الإسكندرية) ؟

ـ (نافع) بطبيعته كان شخصية كتومة للغاية ولا يبوح بأسراره لأحد .

ـ وهل تعتقد أن الشخص الذى يرغب فى الانتحار بحاجة للذهاب لمكان ناءٍ كهذا ليتسلق مرتفعًا صخريًا ثم يلقى بنفسه من فوقه بتلك الطريقة الدرامية المثيرة ؟

أظن كان لديه العديد من الوسائل التى تتيح له ذلك وبطريقة أبسط .

ـ فعلًا .. لكن ما أدرانا ما الذى كان يفكر فيه وقتها .

ـ أريدك أن تعرف شيئًا آخر .. وهو أن المجنى عليه لم يلقَ مصرعه على الفور بمجرد سقوطه من فوق التل الصخرى لكنه ظل يصارع الموت لفترة من الوقت قبل أن يعثر عليه أحد الصيادين الذى تصاف وجوده فى تلك الجزيرة .. وقد أخبرنا هذا الصياد أنه سمع منه بضع كلمات قبل وفاته .

هل تعرف ما الذى قاله له ؟

لقد ذكر اسم كلبك بالتحديد قائلًا : (عنتر) .. غير معقول .. لماذا ؟

هذه آخر كلمات نطق بها .. وكما ترى فإنها تبدو كما لو كانت وثيقة الصلة بك .

قال له الرجل منفعلًا :

ـ وما علاقة كلبى بذلك ؟

قال (حاتم) بهدوء :

ـ هذا ما أريدك أن تفسره لى .

* * *

الفصل الخامس

عاود الكلب زمجرته حينما رأى سيده منفعلًا على هذا النحو .. وهو يقول لـ (حاتم) بعصبية :

ـ ليس لدىَّ تفسير لما قاله .

قال (حاتم) برابطة جأش وهو يشير إلى الكلب :

ـ أبعد كلبك عن هنا أولًا فلا أريده أن يشتت انتباهنا .

بدا (فاروق) متململًا وهو يجذب الكلب من طوقه ليعيده إلى الحجرة مغلقًا بابها .

بينما استطرد (حاتم) بعد عودته قائلًا :

ـ يجب أن تعرف أنك أصبحت مسئولًا عن هذا الكلب منذ الآن بصفة قانونية وبعد أن أصبح عنصرًا هامًا فى تلك القضية بما يقتضيه ذلك من ضرورة الحفاظ عليه وعدم إبعاده عن هذا المنزل .

قال له مستنكرًا :

ـ تتحدث عن كلبى وكأنك قد سلمت بمسئوليته عن مقتل (نافع) .

ـ لم أقل هذا .. لكن ورود اسمه على لسان المجنى عليه قبل وفاته يعنى أن هناك علاقة بينه ومقتل ابن عمك .

قال له متهكمًا :

ـ فى أبو قير وحدها يمكن أن تجد مائتى شخص يحملون اسم (عنتر) وهذا يعنى أنه ليس بالضرورة كان يقصد كلبى حينما نطق بهذا الاسم .

نهض (حاتم) وهو يهز كتفيه واضعًا يديه حول خصره متحركًا تجاه الشرفة وهو يقول :

ـ من الجائز .. ولهذا تلاحظ أننى لم أوجه أى اتهام مباشر لك أو لكلبك .

ونظر من الشرفة إلى الشاطئ الممتد أمامه مستطردًا :

ـ لكن كونك القريب الوحيد تقريبًا للمجنى عليه .. وتمتلك كلبًا يحمل نفس الاسم الذى نطق به قبل وفاته فهذا يجعل عنصر الشك قائمًا بالنسبة لك ولكل من له علاقة بالمجنى عليه فى تلك الجريمة .

وكان الرجل قد لحق به فى الشرفة حينما استدار إليه مردفًا :

ـ أريد منك الآن أن تطلعنى على بعض التفاصيل الشخصية المتعلقة بابن عمك .

وأيضًا الظروف المحيطة به .. خاصة فى الفترة الأخيرة والتى يمكن أن تكون دافعًا للتخلص منه .

ـ قلت لك إن (نافع) كان شخصًا كتومًا ولا يبوح بأسراره حتى بالنسبة لى . كما أن علاقتى به لم تكن وطيدة على نحو ما تظن .

ـ هذا بالرغم من تردده كثيرًا على منزلك فى الآونة الأخيرة .

ـ لقد تردد علىّ فى الفترة الأخيرة حوالى أربع أو خمس مرات فقط .. هذا كل ما فى الأمر .

ـ وماذا كان يعمل ؟

ـ حسب ما علمت كان يمتلك مطعمًا صغيرًا فى أحد الأحياء (بالإسكندرية) ...

قاطعه متهكمًا :

ـ حسب ما علمت .. لا تقل لى إنك لم تكن على دراية بعمله أيضًا .

ـ (نافع) غادر (الإسكندرية) وهو فى التاسعة عشرة من عمره ليعمل على إحدى السفن التجارية .. وتنقل بين عدة دول قبل أن يستقر لفترة فى اليونان .

وخلال تلك الفترة كنا نتراسل ويتصل كل منا بالآخر هاتفيًا من آن لآخر قبل أن ينقطع اتصاله بى فجأة وتنقطع أخباره عنى من حوالى عشر سنوات تقريبًا .

ثم عاد ليظهر من جديد فى (الإسكندرية) وتقابلنا منذ شهر ونصف بعد أن عاود اتصاله لى ليخبرنى أنه اشترى مطعمًا صغيرًا للمأكولات البحرية بالمدخرات التى جمعها من عمله بالخارج وينوى افتتاحه قريبًا .. هذا هو كل ما عرفته عن عمله .

وفجأة سمعا طرقًا على الباب فنهض (فاروق) ليفتح .. حيث وجد النقيب (عاطف) ومعه اثنان من زملائه قائلًا له :

ـ ممكن ندخل ؟

نظر إليهما بتوجس قائلًا :

ـ من أنتم ؟

وكان (حاتم) قد لمحهم من مكانه .. فنادى قائلًا :

ـ تعال يا (عاطف) .

فتقدم (عاطف) وزميلاه إلى الداخل دون أن يأذن لهم صاحب الشقة . مما جعله ينفعل قائلًا :

ـ ما معنى هذا ؟ كيف تقتحمون علىَّ منزلى هكذا دون استئذان ؟

هل معكم تصريح من النيابة ؟

قال (حاتم) لزميله بهدوء :

ـ هل أحضرت معك إذن النيابة ؟

سلمه له قائلًا :

ـ ها هو .

بينما حدثه (حاتم) بدوره قائلًا :

ـ تفحصه جيدًا .. الأمر قانونى تمامًا كما ترى وهو يتضمن الحق فى تفتيش منزلك أيضًا .

أظن أنك لن تمانع الآن أن يقوم هؤلاء السادة بأداء عملهم .

قال الرجل وقد أحتقن وجهه من شدة الانفعال :

ـ لما كل ذلك ؟ هل أنا متهم بشىء ؟

ـ لم يوجه لك أحد أى اتهام .. والتفتيش مجرد إجراء قانونى باعتبارك أحد المشتبه بهم .

احتد قائلًا :

ـ مشتبه به .. هل أنا أحد المشتبه بهم ؟

ـ بالطبع .. هذا ما قلته لك منذ قليل .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلًا :

ـ ومع ذلك يمكننى التغاضى عن مسألة التفتيش هذه إذا ما أبديت قدرًا من التعاون معنا .

قال له مضطربًا :

ـ وأنا لم أمتنع عن شيء .. ولكن فى حدود ما أستطيعه .

ـ متى كانت آخر مرة رأيت فيها ابن عمك ؟

ـ منذ ثلاثة أيام كما ذكرت لك .

ـ هل رأيت معه شيئًا ما ؟ حقيبة مثلًا .

ـ كلا .

ـ تذكر جيدًا ألم يكن فى يده حقيبة جلدية بنية اللون وتحتوى على مبلغ كبير من المال ؟

ـ قلت لك لم أرَ معه أية حقائب .

جلس (حاتم) قائلًا :

ـ سنحاول التأكد من هذا الأمر .

وأشار إلى (عاطف) وزميليه قائلًا :

ـ فتشوا المنزل .

لكن الرجل سارع بالقول :

ـ انتظروا من فضلكم .

وصمت برهة قبل أن يستطرد وهو مطرق الرأس قائلًا :

ـ الحقيبة التى ذكرتها موجودة لدىّ بالفعل .. لكن أقسم لك إننى لم أمس جنيهًا واحدًا من النقود التى فيها .

نهض (حاتم) ليقترب منه قائلًا :

ـ كان يتعيّن عليك أن تكون أكثر وضوحًا معى منذ البداية .

قال الرجل خائفًا :

ـ سأخبرك بكل شيء بشرط أن توفر لى الحماية الكافية .

ربت على كتفه قائلًا :

ـ وأنا أعدك بذلك .

ـ (نافع) ليس ابن عمى الوحيد .. بل كان له شقيق أصغر منه يدعى (نادر) .. وكان يعمل موظفًا معى فى الجمارك لكن فى جهة مختلفة عن الجهة التى أعمل بها .. وبالرغم من العلاقة الأسرية التى تجمع بيننا واشتراكنا فى مجال عمل واحد إلا أن العلاقة بيننا لم تكن وطيدة .. كنا نتقابل معًا أحيانًا مصادفة دون أن يكون بيننا تزاور أو مودة حقيقية .

لكن منذ حوالى ثمانية أشهر تقريبًا أتى ليزورنى فى مكتبى وأخبرنى بأن لديه معلومات وثيقة بشأن وجود عمليات تهريب كبيرة تتم عن طريق جمرك الميناء وبمعرفة مسئول كبير فى المصلحة يناط به تسهيل تلك العمليات .

وقال إن هذا المسئول عرض عليه أن يتعاون معه فى تمرير إحدى عمليات التهريب مقابل مبلغ مالى كبير محذرًا إياه أنه سيلقى عاقبة وخيمة فى حالة ما إذا أطلع أحدًا على هذا الأمر .

ووضعه أمام خيارين يتعيَّن عليه أن يقبل أحدهما .. إما أن يشاركه فى عملية التهريب أو يرفض دون أن يفتح فمه بكلمة واحدة عن الحديث الذى دار بينهما .

ولما كان (نادر) من النوع الذى يهوى المغامرة بالإضافة لكونه إنسانًا شريفًا إلى حد التزمت .. فقد قال لى إنه سيجارى هذا الشخص ومن معه فيما يطلبونه منه حتى يطمأنوا إليه لثقته فى أنهم سيجرون له اختبارًا فى البداية قبل أن يشركوه معهم فى الأمر وبعد أن يجتاز هذا الاختبار سيتمكن من الوصول إلى بقية أفراد العصابة والشخصية الكبيرة التى تتزعمهم .. ثم يبلغ الشرطة بكل التفاصيل .

كانت تلك الفكرة مستولية على تفكيره بشكل كبير .. وقد بدا ما يقوله أشبه بروايات المغامرات البوليسية التى كان يهواها من الصغر وتراود خياله .

وطلب منى أن أجرى بعض التحريات وأجمع له بعض المعلومات حول الشخص الذى يشك فى زعامته لتلك العصابة بحكم أن طبيعة عملى تجعلنى قريبًا من هذا الشخص ولدىَّ صلة ما به محاولًا إغرائى بالشهرة والمكافأة الكبيرة التى سنحصل عليها إذا ما تعاونا معًا فى سبيل القبض على تلك العصابة ومن يتزعمها .

لكنى كنت أختلف عن (نادر) ولا أميل بطبيعتى إلى المخاطرة أو توريط نفسى فى أى نوع المشاكل فما بالك بأمر خطير كهذا .

لذا اعتذرت له ورفضت أن أشارك فى هذا الأمر .. كما نصحته أن يبتعد بدوره عن تلك المخاطرة .. خاصة أننى أعرف مدى قوة ونفوذ ذلك الشخص الذى حدثنى عنه .. وأخبرته أن الحل الأسلم والأمثل هو أن يرفض العرض الذى عرض عليه ويطلب نقله إلى مكان آخر بعيدًا عن المشاكل والمتاعب .

لكنه رفض الأخذ بنصيحتى وأصر على الاستمرار فى خطته .

وبعد أسبوع واحد من ذلك الحديث بيننا وجدوه غريقًا .

ـ هل تعتقد أن تورطه فى هذا الأمر هو الذى أدى لغرقه ؟

ـ ليس لدىَّ شك فى ذلك .

ـ ولم لم تخبر الشرطة بالأمر وقتها ؟

ـ كما قلت لك أردت أن أنأى بنفسى عن أى شىء يمكن أن يجلب لى المتاعب وغلب على جبنى وخشيتى من العواقب التى أن أتعرض لها لو أبلغت .. ولأننى أعرف مدى قوة ونفوذ المسئول الكبير الذى حدثتك عنه .

ولم يكن ذلك ليعيد (نادر) إلى الحياة مرة أخرى .. ففضلت أن ألتزم الصمت .

وضع (حاتم) يديه حول خصره وهو ينظر إليه قائلًا :

ـ لكن (نافع) لم يفعل مثلك .. وانتابه الشك فى مقتل أخيه فترك عمله فى اليونان وجاء إلى (الإسكندرية) بحثًا عن الحقيقة .

هز رأسه قائلًا :

ـ هذا ما حدث .

ـ لكن ما الذى جعله يرتاب فى وجود شبهة جنائية وراء موت شقيقه ؟

ـ لأنه كان يعرف مثلى أن (نادر) سباح ماهر ويصعب تصور أن يموت غرقًا .

هذا بالإضافة إلى أن (نادر) اتصل به قبل وفاته بثلاثة أيام وأخبره أنه يشعر بوجود خطر حقيقى يتهدد حياته .

ويبدو أنه أدرك مؤخرًا وقبل وفاته حجم المخاطرة التى أقحم نفسه فيها وأنه أصبح مهددًا بالقتل .

أكمل (حاتم) قائلًا :

ـ وعندما عاد (نافع) إلى (الإسكندرية) أراد أن يستعين بك لمساعدته على إجلاء الحقيقة حول موت أخيه .

ـ هذا ما حدث وقد أطلعته على ما قاله لى (نادر) قبل وفاته وفى نفس الوقت ناشدته ألا يحاول الخوض فى هذا الأمر ويعود من حيث أتى حتى لا يلقى نفس مصير أخيه .

لكنه لم يستجب لنصيحتى بدوره .. بل ثار وغضب قائلًا إن دم أخيه لن يضيع هدرًا وإنه مصمم على الانتقام له ممن قتله إذا ما ثبت أنه قتل ولم يمت ميتة طبيعية .

وألح علىّ لأساعده فى هذا الشأن لكنى رفضت أيضًا كما حدث مع (نادر) مما جعله يتهمنى بالجبن والخيانة وغادر منزلى غاضبًا وامتنع عن زيارتى لفترة .

ـ لكنه عاد ليتردد على منزلك مرة أخرى .

ـ فى الحقيقة أنا الذى شعرت بشىء من الخزى والذنب لرفضى مساعدته .. لذا سعيت للاتصال به واسترضائه .

ويبدو أنه اقتنع أخيرًا أننى لست الشخص المناسب لتلك المهمة فقرر أن يتولاها بنفسه .

المهم أن ذلك لم يفسد الصلة بيننا وعاد ليزورنى فى منزلى ويتصل بى من آن لآخر وإن كان على فترات متباعدة .

ـ وماذا عن الحقيبة ؟

ـ آه .. الحقيبة .. لقد أتى (نافع) إلى منزلى منذ عدة أيام ومعه تلك الحقيبة وأطلعنى على ما تحويه من نقود وصور قديمة بعضها يجمع بينه وبين (نادر) والبعض الآخر لـ (نادر) فقط قائلًا لى إنه يثق فىّ بالرغم من الخلاف الذى حدث بيننا .. وطلب منى أن أحتفظ عندى بتلك الحقيبة لأنه لم يعد يأمن لوجودها معه فى البنسيون الذى يقيم فيه وفى نفس الوقت لا يريد إيداع تلك النقود فى البنك حاليًا لحاجته للإنفاق منها على احتياجاته وللمهمة التى يسعى وراءها .

لكنى أقنعته بأنه من الأفضل أن يسارع بإيداعها فى البنك ويحصل فى المقابل على بطاقة ائتمانية تتيح له الحصول على ما يحتاجه من مال وقتما يشاء من ماكينة الصرف .

وقد وافقنى على ذلك وأخذ المال الذى أحضره معه فى ظرف كبير ليودعها فى البنك تاركًا الحقيبة بما تحويه من صور تذكارية عندى .

صمت (حاتم) برهة قبل أن يقول :

ـ لا أدرى لماذا تبدو قصتك غير مقنعة بالنسبة لى ؟

ـ ماذا تقصد ؟

أ..أقصد إذا كان ما قلته عن تلك الحقيبة التى أحضرها إليك ابن عمك صحيحًا فإننى لا أستبعد أن تكون قصة الإيداع فى البنك هذه مختلفة وأن تكون قد استوليت على ما بها من مال بعد تأكدك من وفاة ابن عمك .

انفعل الرجل قائلًا :

ـ هذا اتهام باطل .. ربما كنت ضعيفًا وجبانًا ولدىَّ بعض النقائص التى لا أنكرها لكنى لست بالشخص الذى يخون الأمانة أو يسرق مال الغير وتحت أى ظرف من الظروف .

ابتسم (حاتم) وهو يربت على ظهره قائلًا :

ـ لا داعى لأن تنفعل هكذا فهذه النقود سواء كانت بحوذتك أو فى البنك قد أصبحت من حقك فى النهاية باعتبارك الوريث الوحيد لابن عمك .. وبعد وفاة شقيقه وعدم وجود أى أقارب آخرين لكم .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلًا :

ـ هذا إلا إذا كان لك يد فى قتل (نادر) للاستحواذ على النقود .

***

الفصل السادس

قال له مستنكرًا :

ـ إنك لا تفتأ تكيل لى الاتهامات يا سيادة المحقق .

تجاهل ما قاله قائلًا :

ـ قل لى من هو ذلك المسئول الذى طلب منك (نادر) التحرى عنه قبل وفاته ؟

اعتراه شىء من الخوف والتردد وهو يقول :

ـ قلت لك من البداية إننى لا أريد التورط فى هذا الأمر .. لو أخبرتك باسمه فقد يعرض ذلك حياتى للخطر .

www.riwaya.ga

قال له بحزم :

ـ وإخفاء معلومات هامة تتعلق بجريمة قتل قد يعرضك للسجن أيضًا .

ثم هل نسيت أننى وعدت بحمايتك ؟

ـ لكنك ترتاب فى معظم الوقت .

ـ هذا جزء من عملى .. بالنسبة للمحكمة فالمتهم برىء حتى تثبت إدانته .. أما بالنسبة لى فالبرىء متهم حتى تثبت براءته .

ـ على أية حال إنها مجرد شائعات تتردد حول هذا الشخص لكن لا يوجد شىء مؤكد .

بدا (عاطف) نافد الصبر وهو يقترب من الرجل قائلًا بحدة :

ـ لم لا تتكلم على الفور ؟ قل لنا ما اسم هذا الرجل .

قال له متلعثمًا :

ـ اسمه (جابر العوضى) . مدير إدارة الحجر الصحى بالميناء عاد (حاتم) ليجلس قائلًا :

ـ هل أعلمت (نافع) باسمه ؟

ـ كلا .. لكنى وجدته على علم بتلك الشائعات التى تدور حوله .. ويبدو أنه كان لديه مصادره الخاصة .

وبدا موقنًا بأن (جابر العوضى) هو المسئول عن مقتل أخيه غرقًا وأقسم أنه سينتقم منه آجلًا أم عاجلًا .

***

قاد (حاتم) سيارته ومعه زميله (عاطف) بعد مغادرته لمنزل (فاروق) .. وقد حدثه (عاطف) قائلًا :

ـ هل صدقت ما قاله هذا الرجل ؟

ـ ألا يبدو كلامه بالنسبة لك مقنعًا .

ـ لا أدرى .. لكن لا تنسَ أنه حاول الإنكار ومراوغتنا فى البداية .

ـ المهم أننا حصلنا منه على ما نريده فى النهاية .

ـ ولمَ لا يكون قد أراد أن يوجهنا وجهة أخرى ليبرر استيلاءه على المال الذى أحضره له المجنى عليه معه ؟

قال (حاتم) وهو يواصل القيادة :

ـ لا أظن ذلك .. ثم إذا كان المال هو الذى يبرر قتل (نافع) فما الذى يبرر قتل شقيقه من قبل وفى ظروف غير طبيعية أيضًا إلا إذا كان الأمر أكبر من هذا الرجل وله دوافع أخرى .

ـ لكن ملف القضية المتعلقة بـ (نادر صفوان العباسى) تم إغلاقه منذ فترة بعيدة .

ـ ومع ذلك ألا يثير غرق شخص يجيد السباحة إجادة تامة بعض الشك لديك .

ـ حتى لو كان يجيد العوم فبعض أبطال السباحة تعرضوا للغرق من قبل لأسباب متنوعة .. شد عضلى مفاجئ أو حالة إغماء مباغتة .

ـ تلك الأمور يمكن استيضاحها من الطبيب الشرعى الذى فحص الجثة .

والتفت إليه مستطردًا :

ـ وهذه ستكون مهمتك القادمة يا (عاطف) .. أريدك أن تعرف من الطبيب الشرعى الذى قام بفحص الجثة ما هى الظروف والأسباب الحقيقية التى أدت لوفاة (نادر صفوان) .. وهل هو الغرق فقط الذى تسبب فى الوفاة أم كان مصحوبًا بفعل آخر ؟

وعليك أيضًا الحصول على تصريح للتعرف على الحساب الشخصى لـ (نادر صفوان) قبل وفاته فى البنك الذى أودع فيه أمواله والتأكد من وجود هذا الحساب بالفعل .

وقبل أن يغادر (عاطف) السيارة استوقفه (حاتم) مستطردًا :

ـ لست بحاجة لأن أنبهك بضرورة وضع (فاروق حلمى) تحت رقابة مشددة .. وتكثيف التحريات بشأن (جابر العوضى) مدير إدارة الحجر الصحى بالميناء .

الوقت ضيق أمامنا يا (عاطف) لذا لا بد من إتمام ذلك فى أسرع وقت قبل أن نفقد معالم القضية .

ـ سأقود بنفسى مجموعة من الزملاء للإسراع فى تنفيذ ما طلبته .

***

تهيأ الطبيب الشرعى لمغادرة غرفته حينما فوجئ بزيارة (حاتم) له .

ـ (حاتم) بك .. أهلًا وسهلًا .. تفضل .

بادره بالسؤال قائلًا :

ـ لقد قرأت التقرير الخاص بفحص جثة (نافع صفوان العباسى) .. وهو تقرير وافٍ .. لكنى أريد أن أستأذنك بإعادة فحص الجثة ثانية .

نظر إليه الطبيب باستنكار قائلًا :

ـ هل لديك شك فى نتيجة الفحص ؟

ـ كلا .. لكنى أريد أن أعرف فقط ما إذا كان بين الإصابات التى لحقت بالمجنى عليه آثار لأنياب أو مخالب حيوان ما .. بالتحديد كلب شرس .

قال له مندهشًا :

ـ كلب .

ـ هناك بعض التطورات الجديدة طرأت على تلك القضية تجعلنى أشك فى تعرض المجنى عليه لاعتداء من أحد الكلاب من نوع الدوبرمان .

ـ لكنى أؤكد لك أننى لم أعثر لأى أثر من ذلك النوع على الجثة .

نظر إليه (حاتم) مليًا وهو يقول :

ـ هل أنت واثق من ذلك ؟ ألا يمكن وجود بعض التشابه ما بين حد صخرة مدببة كتلك التى أصابت جسد المجنى عليه وأنياب كلب شرس .

قال له بثقة :

ـ بالنسبة لطبيب محترف مثلى له فى هذه المهنة أكثر من عشرين عامًا فلا أظن أنه سيفوتنى التفرقة ما بين حد صخرى وأنياب كلب .

بل هو شىء لا يمكن أن يخدع طبيبًا مبتدئًا .

ـ وماذا لو قمت بفحص ملابس المجنى عليه مرة أخرى بدلًا من الجثة؟

***

غادر (حاتم) مكتبه ليسير على الشاطئ وهو يستعرض فى ذهنه أحداث الجريمة .. وسؤال يلح على عقله بشدة .

هل كان (نافع) ضحية لعصابة تهريب كبيرة ؟

وما هو السبب وراء ذهابه لتلك الجزيرة الموحشة قبل أن يلقى حتفه ؟

هل ألقى به أحدهم من فوق التل الصخرى ؟ أم أنه سقط من تلقاء نفسه أثناء محاولته تسلقه أو الهبوط من فوقه ؟

وبافتراض أن أحدهم هو الذى قام بدفعه من أعلى التل ليلقى مصرعه على هذا النحو فإنه لا يوجد أى دليل أو أثر يدل على مقاومة المجنى عليه لغريمه .. لا آثار دموية أو خصلة شعر تدل على تصارعه مع الجانى .

وهذا يعنى أمرًا من اثنين .. إما أنه كان مستسلمًا لعدوه استسلامًا تامًا .. أو أنه فوجئ بمهاجمته له على نحو أعجزه عن المقاومة .

ثم .. لماذا خلت ثياب المجنى عليه من أية أوراق تنم عن شخصيته ؟

هل حدث ذلك بفعل الجانى ليخفى أى أثر ينم عن حقيقته ؟

ولماذا اختفت تلك الصفحة من دفتر النزلاء فى البنسيون الذى أقام فيه إلا إذا كان ذلك استمرارًا لمحاولة إخفاء أية معلومة تتعلق بشخصه ؟

وبينما هو مستغرق فى أفكاره على هذا النحو سمع صوتًا يناديه من الخلف .
فاستدار ليجد (عاطف) وقد لحق به قائلًا :
ـ لدىَّ أخبار قد تثير اهتمامك .. أولًا : عثرنا على حساب ائتمان باسم (نافع صفوان) فى بنك (الإسكندرية) قيمته ربعمائة ألف جنيه .

ثانيًا : تأكد لنا أن (نادر صفوان) شقيقه قد مات غرقًا بالفعل منذ ثمانية أشهر وعثر على جثته بالقرب من شاطئ ميامى وهو ما أكده تقرير الطبيب الشرعى رغم ما أكدته التحريات من إجادته للسباحة إجادة تامة .

وما أكدته أيضًا من أنه كان يعمل فى جمرك (الإسكندرية) ويتمتع بسمعة طيبة بين زملائه .

وهناك معلومات أخرى تشير إلى أن (نافع) كان يعمل على جمع بعض المعلومات بشأن الظروف التى أدت لوفاة شقيقه وكان يدفع الكثير من المال مقابل ذلك .

غمغم (حاتم) قائلًا :
ـ هذا يؤكد صدق ما قاله لنا ابن عمهما .
قال له موافقًا :
ـ يبدو أن الرجل كان صادقًا بالفعل .
ـ وماذا بشأن مدير الحجر الصحى بالميناء ؟
ـ المعلومات التى توافرت لدينا تشير لوجود اتصالات مريبة له بالفعل ببعض تجار المخدرات الكبار .
توقف (حاتم) عن مواصلة السير ليلتفت له قائلًا :
ـ أظن أن هذا يكفى ليجعلنا نشك فى وجود جريمتين وراء مقتل الشقيقين .

قال (عاطف) موافقًا :

ـ وهذا ما أرجحه أيضًا .

ـ مما يدعونا للتحرك بخطى أسرع فربما نكون إزاء جرائم أخرى أشد خطورة قد تكشف لنا عنها الجريمة التى نحن بصددها .

***

وبينما هما فى طريقهما إلى إدارة الحجر الصحى بالميناء تلقى (حاتم) اتصالًا هاتفيًا من الطبيب الشرعى قائلًا له :

ـ أهنئك يا (حاتم) .. كان تقديرك فى محله .. فبعد فحص ثياب المجنى عليه (نافع صفوان) مجددًا تبيَّن لنا بالفعل وجود آثار للعاب كلب عالقة فى نسيج القماش .

انفرجت أسارير (حاتم) قائلًا بارتياح :

ـ أشكرك جدًا يا دكتور كنت بحاجة ماسة لتلك المعلومة الهامة .

ـ لكن هذا لا يعنى تبنى استنتاجات سريعة .. فوجد آثارًا للعاب كلب على ثياب الضحية قد لا يعنى حتمًا مهاجمة الكلب له لأن هذا الأثر يمكن أن يكون ناجمًا مثلًا عن مداعبة المجنى عليه للكلب إذا كانت هناك صلة ما تربطه بهذا الحيوان .

ـ بالفعل سأضع هذا فى الاعتبار .. أشكرك مرة أخرى يا دكتور .

وأغلق الهاتف وهو يغمغم مستطردًا :

ـ وربما أيضًا يكون هذا الأثر سابقًا على وقوع الجريمة .

نظر إليه (عاطف) قائلًا :

ـ أو يكون ذا علاقة رئيسية بارتكابها .

أشار إليه (حاتم) بسبابته قائلًا :

ـ وهذا ما أرجحه .

ـ هل يعنى هذا أنه من الممكن أن يكون للكلب الذى يقتنيه ابن عم المجنى عليه علاقة بالجريمة ؟

مط (حاتم) شفتيه قائلًا :

ـ ليس لدينا تعليل آخر سوى ذلك .. فبحسب ما قاله الرجل فإن المجنى عليه كان يخشى الكلاب كثيرًا ويخافها .. واستطاع بصعوبة شديدة أن يتآلف بعض الشىء مع هذا الكلب الشرس .. لكن من يدرى ربما يكون قد انقلب عليه فى لحظة ما وهاجمه مما أدى إلى فزعه وسقوطه من فوق التل الصخرى .

ـ وربما أن أثر اللعاب الذى وجد على بنطلونه كان بسبب مداعبة ثقيلة من الكلب قبل وقوع الجريمة .. خاصة أنه لا توجد أى آثار أخرى لوجود عض أو خدوش مثلًا .

ـ السؤال هنا لو كان هذا الكلب قد هاجم المجنى عليه بطريقة أخافته وأدت إلى سقوطه على هذا النحو أو حتى بسبب مداعبته للكلب كما تقول .. فما الذى أتى بالكلب إلى هذا المكان ؟

بالطبع فهو لم يأت بمفرده .

ـ تقصد أن صاحبه هو الذى أتى به .. وأنه كان موجودًا فى الجزيرة لحظة وقوع الجريمة .

ـ هل لديك تفسيرًا آخر ؟

ـ لكن ما الذى دعاه لأن يدلى لنا بكل تلك المعلومات التى أوردها عن (جابر العوضى) وعمليات التهريب إذا كان له يد فى ارتكاب تلك الجريمة ؟

ـ ليس بالضرورة أن يكون هو القاتل .. وربما ذهب ليحذره أو لأى سبب آخر .. الافتراضات كثيرة .. لكن هناك حلقة مفقودة فى هذا الشأن .

ـ على أية حال فهو ما زال موضوعًا تحت المراقبة .

غمغم (حاتم) قائلًا :

ـ إذا كان قد تمكن من خداعنا عن طريق التظاهر بالتعاون معنا وإمدادنا بتلك المعلومات الخطيرة التى أخبرنا بها للتغطية على حقيقة ما حدث فى ذلك المكان النائى فإننا نكون إزاء شخص شديد الدهاء .

***

توقفت السيارة أمام مقر إدارة الحجر الصحى ليغادرها (حاتم) وزميله . حيث توجها للسؤال عن مدير الإدارة .. لكن أحد العاملين أخبرهما أنه غادر مكتبه منذ ساعتين وقد بدا متوعكًا بعض الشىء .. مما اضطرهما للذهاب إلى منزله .

لكن ما كادا يصلان إلى المنزل حتى لمحا أحد الأشخاص يغادره مسرعًا ليستقل سيارة صفراء صغيرة وقد بدا مظهره مثيرًا للارتياب فهتف (حاتم) على زميله قائلًا :

ـ (عاطف) أسرع بتسجيل أرقام اللوحة المعدنية للسيارة .

واستجاب (عاطف) على الفور مدونًا أرقام السيارة على شاشة هاتفه المحمول .

وصعدا بعدها إلى شقة (جابر العوضى) ليطرقا الباب دون أن يستجيب لهما أحد .

مما دعاهما إلى معاودة المحاولة وطرق الباب بقوة دون جدوى وأصغى (حاتم) السمع ملصقًا أذنه بالباب وهو يقول لزميله :

ـ أنصت جيدًا .

قام (عاطف) بإلصاق أذنه بالباب بدوره وقد بدا له أنه سمع صوت حشرجة قوية تأتى من الداخل .

مما دعا (حاتم) لأن يقول له :

ـ دعنا نحطم الباب .

قال (عاطف) مترددًا :

ـ لكن يا فندم .. صاحب الشقة ليس متهمًا حتى الآن وليس معنا أمر نيابة يسمح لنا باقتحام الشقة وتحطيم بابها .

لكن (حاتم) قال له بحزم :

ـ افعل ما قلته لك .

أطلق (عاطف) الرصاص على كالون الباب .

ثم اقتحما الشقة ليجدا باب غرفة النوم مفتوحًا على مصراعيه وصوت الحشرجة يأتى من الداخل وقد ازداد وضوحًا .

وقد لمح (حاتم) آثار دماء على عتبة الباب والسجادة الموجودة فى الردهة .. فاندفعا إلى الداخل ليجدا (جابر العوضى) ملقى على الأرض والدماء تنزف من جرح قطعى حاد فى عنقه .

***

الفصل السابع

أسرع (حاتم) ليفحصه قائلًا لزميله :

ـ استدعِ الإسعاف فورًا .

بينما حدق الرجل فى وجهه بعينين زائغتين وهو يصارع الموت قبل أن تتراخى يده إلى جواره ليتحول إلى جثة هامدة .

نظر (حاتم) إلى (عاطف) وهو يتصل بالإسعاف قائلًا :

ـ لا داعى لذلك .. فقد كان فى الرمق الأخير .

وجذب ملأة من فوق السرير ليغطى بها جسده .

***

قال (عاطف) وملامح الضيق ترتسم على وجهه :

ـ مع الأسف لم يفدنا رقم السيارة بشىء فقد تبيَّن أنها مستأجرة .

أحد الأشخاص استأجرها من إحدى شركات تأجير السيارات قبل مقتل (جابر العوضى) بيوم واحد فقط .. ثم أعادها بعد وفاته مباشرة .

(حاتم) :

ـ هل سألت صاحب مكتب تأجير السيارات عن شخصية مستأجر السيارة وبياناته ؟

ـ اتضح أن البيانات التى قدمها له كلها كانت مزورة بما فيها صورة هويته الشخصية أيضًا .. يبدو أنه رتب للأمر جيدًا .

وكل ما قدمه لنا صاحب مكتب تأجير السيارات عن أوصافه يمكن أن تنطبق على ملايين الأشخاص .

غمغم (حاتم) قائلًا :

ـ من الواضح أننا نتعامل مع شخصية شديدة الحرص والذكاء .

وثنى أكمام قميصه مستطردًا :

ـ ويبدو أن (جابر) هذا لم يكن سوى مجرد عضو من أعضاء عصابة إجرامية منظمة .

وغادر مقعده ليسير فى أرجاء الحجرة مردفًا :

ـ لقد علم أحدهم بما نجريه من تحريات بشأن (جابر العوضى) فقرر أن يتخلص منه قبل أن نضع أيدينا عليه .

قال (عاطف) وهو يلقى بنفسه فوق الأريكة التى تتوسط الحجرة :

ـ أظن أن الأمر فى هذه القضية قد تجاوز مجرد وقوع جريمة فردية .

ـ قل لى ما اسم تاجر المخدرات الذى أشارت إليه تحرياتك بشأن صلته بـ (جابر العوضى) ؟

ـ اسمه رجب الإسناوى .

غمغم (حاتم) قائلا :

ـ يبدو أنه لم يعد أمامنا سوى تعقب هذا الرجل .

ـ نسيت أن أخبرك بأنه اختفى فجأة .

قال له منفعلًا :

ـ اختفى .

ـ أجل .. بالرغم من المراقبة الشديدة التى وضعت عليه منذ فترة بعيدة بواسطة مباحث المخدرات بسبب خطورته فى مجال الاتجار بالمخدرات إلا أنه تمكن من الإفلات من المراقبة والاختفاء بدوره بعد مقتل (جابر العوضى) .

قال (حاتم) وهو يطلق زفرة طويلة من صدره :

ـ يا له من حظ سيئ .

ـ من يدرى .. ربما يكون قد لقى حتفه أيضًا بسبب علاقته بـ (جابر العوضى) ؟

وبينما كان يتحدثان دخل عليهما أحد ضباط الإدارة وهو مكفهر الوجه وقد التفت إليه (عاطف) قائلًا :

ـ هيه يا (فادى) هل من جديد بشأن (الإسناوى) ؟

قال له مطرقًا :

ـ لا يوجد أى جديد .. وليس الإسناوى وحده هو الذى تمكن من الإفلات من المراقبة .. بل (فاروق حلمى) أيضًا .

انفعل (حاتم) بشدة قائلًا :

ـ ماذا ؟ ما هذا الذى تقوله ؟

ـ لقد تمكن من خداعنا بالتنكر فى زى امرأة منتقبة ليغادر المنزل ومعه حقيبة صغيرة .. ولم نكتشف ذلك إلا فيما بعد .

قال (حاتم) وقد استشاط غضبًا :

ـ سيدة منتقبة .. ألم يثر ذلك أى شك لدى أولئك المكلفين بمراقبة المنزل ؟ كيف غفلوا عن شىء مريب كهذا ؟

سأل (عاطف) قائلًا :

ـ هل أخذ الكلب معه حينما غادر المنزل ؟

ـ كلا .

ـ ألم تحاولوا تفتيش المنزل والبحث عنه ؟

ـ يبدو أنه استطاع أن يهربه عن طريق السطح إلى أحد المنازل المجاورة يلحق به على ناصية الطريق .

فالكلب مدرب على تنفيذ كل ما يأمر به سيده .

عاد (حاتم) لينفعل قائلًا :

ـ إننى لا أدرى ما الذى تفعلونه أيها السادة أنتم ومخبروكم .. شخصان مهمان للغاية فى قضية خطيرة كهذه يتمكنان من خداعكم والهرب منكم على هذا النحو .

(عاطف) :

ـ يا فندم (الإسناوى) كان مراقبًا عن طريق إدارة مكافحة المخدرات وليس عن طريقنا بحكم نشاطه .

قال (حاتم) دون أن يتخلى عن حدته :

ـ لا تحاول التهرب من مسئوليتك يا سيادة النقيب .. كان لا بد من التنسيق معهم بهذا الشأن وهذا ما طلبته منك .

ـ يا فندم .. لقد أصروا على .....

لكنه لم يلتفت إليه موجهًا كلامه إلى الضابط الآخر قائلًا :

ـ ثم شخص بهذه الدرجة من الأهمية يهرب أمام أعينكم ومعه كلبه بحيلة ساذجة لا تنطلى على شرطى مبتدئ .. كيف ؟ لابد أنهم كانوا نائمين وتركوا الرجل يخدعهم بسهولة .

قال له مرتبكًا :

ـ أعترف أن رجالى قد قصروا فى هذا الشأن وقد تم تحويلهم إلى التحقيق .

ازداد صوته علوًا وهو يقول متهكمًا :

ـ تحقيق .. وأى فائدة سنجنيها من وراء التحقيق الآن ؟

وفى تلك اللحظة سمعوا طرقًا على الباب أعقبه دخول شرطى مؤديًا التحية لـ (حاتم) وهو يوجه كلامه إليه قائلًا :

هناك شخص يرغب فى مقابلة سيادتك يا فندم .

قال (حاتم) بعصبية :

ـ ماذا دهاك أيها الشاويش ؟ ألا ترى أننى مشغول بالتحدث مع السادة الضباط ؟

ـ آسف يا فندم .. لكنه يلح فى طلب مقابلتك .

ـ قل له أن ينتظر أو يرحل .

وقبل أن يغادر الشرطى الحجرة استوقفه قائلًا :

ـ انتظر .. هل قال لك عن اسمه ؟

قال له متلعثمًا :

ـ اسمه (فاروق) .. وقد .. جاء وبرفقته كلب ضخم أصر على أن يصحبه معه .

خيم الصمت على الجميع وقد علت وجوههم الدهشة .

بينما غمغم (حاتم) وهو يحدق فى وجه الشرطى مرددًا :

ـ اسمه (فاروق) .

وما لبث أن هتف سريعًا :

ـ ائتِ به فى الحال .

ـ وماذا عن الكلب يا فندم ؟

ـ والكلب أيضًا .. هيا بسرعة .

دخل عليهم الحجرة ممسكًا فى يده بطوق الكلب وقد وضع كمامة على فمه وقد بدت عليه ملامح التوتر والارتباك .. بينما هدأت ثائرة (حاتم) قليلًا وهو يتطلع إليه قائلًا :

ـ ما هذا الذى فعلته يا (فاروق) ؟ تهرب من منزلك متنكرًا فى زى سيدة منتقبة مغافلا رجالى رغم أنك تعرف أنهم يعملون على حمايتك .. أى جنون دفعك لفعل ذلك ؟

قال له بصوت خفيض :

ـ أنا لم أفعل ذلك هربًا منكم بل من أولئك المتربصين بى للقضاء علىّ .

أشار له بالجلوس قائلًا :

ـ من هم أولئك الذين يريدون قتلك ؟

ـ نفس الاشخاص الذين قتلوا (جابر العوضى) .

هل تعرفهم ؟

ـ كلا .. لكنى أعرف أنهم ما داموا قتلوا شخصًا بحجم ومكانة (جابر) رغم أهميته بالنسبة لهم فلن يتورعوا عن التخلص منى أيضًا .

ـ لكن كيف عرفت أنه قتل ؟

ـ كل العاملين فى الميناء يتحدثون عن مقتل (جابر) .. وهناك قصص كثيرة تروى عن تلك العصابة الخطيرة التى ينتمى إليها وعن نفوذهم المتصاعد فى الميناء وقدرتهم على الفتك بكل من يخونهم أو يتسبب فى إلحاق أى أذى بهم .

ـ ولهذا هربت ؟

ـ قلت لى من قبل إنك لم تغادر منزلك فى ذلك اليوم الذى لقى فيه (نافع) مصرعه .

ـ أجل .

ـ وبالطبع كلبك كان معك فى المنزل طول اليوم .

ـ إنه لا يفارقنى معظم الوقت إلا فى ساعات العمل تقريبًا .

ـ لكن المعمل الجنائى أثبت وجود آثار للعاب الكلب على ثياب المجنى عليه فى نفس اليوم الذى لقى فيه ابن عمك حتفه .

فهل لديك تفسير لذلك ؟

ولم ينتظر منه إجابة بل استطرد قائلًا :

ـ أنا لدىَّ ذلك التفسير والذى يبدو مقاربًا للعقل والمنطق .. وهو أن الكلب استخدم بطريقة ما لإرهاب المجنى عليه ودفعه للسقوط من فوق التل الصخرى حتى يبدو سقوطه والطريقة التى لقى بها مصرعه طبيعيًا ولا يثير الشكوك .

مما يعنى أن ذلك الكلب مدرب على تنفيذ أوامر صاحبه بدقة وإتقان تمامًا كما هو الحال بالنسبة لكلبك (عنتر) .

فهو لم يهاجم الضحية بغرض الفتك به .. بل لدفعه للسقوط من فوق التل على نحو ما حدث .

هب الرجل مذعورًا وهو يقول :

ـ هذا افتراء وكذب .

تمعن (حاتم) فى وجهه قائلا :

ـ ضع نفسك مكانى .. قريب لك يقتل وآخر كلماته تتضمن اسم كلبك وثيابه تحمل آثار لعاب لهذا الكلب .

وفى نفس الوقت ليس لديك أى دليل واضح أو شاهد واحد يؤكد عدم وجودك أنت وكلبك بعيدًا عن مسرح الجريمة وقت وقوعها .

ما الذى يسعنى أن أفعله فى هذه الحالة سوى اتهامك بارتكاب الجريمة ؟

قال له وقد امتقع وجهه :

ـ يا سيدى أنا لا أستطيع إيذاء ذبابة .. ثم لا تنسى أننى جئت إليك اليوم بنفسى ودون أن يقبض علىَّ أحد من أعوانك .. لو كان لى دخل بهذا الجرم الذى تتهمنى به فما الذى يجعلنى أقدم على ذلك بينما كان يمكننى الاستمرار فى الهرب لو أردت .

ـ ربما هى محاولة ذكية منك لإبعاد الشبهات عن نفسك .

قال له بصوت أقرب إلى الصراخ :

ـ مستحيل أن ينتهى بى الأمر أن أكون متهمًا بقتل ابن عمى .

أشار (حاتم) إلى كوب العصير قائلًا بهدوء :

ـ أجلس يا (فاروق) وأشرب الليمون .

جلس الرجل وجسده يرتجف من شدة الانفعال وقد قدم له (حاتم) الكوب بنفسه قائلًا :

ـ صدقنى أنا أحاول مساعدتك .. لكنك أنت أيضًا لابد وأن تساعدنى بدلًا من اللجوء لتلك التصرفات التى تزيد من الشبهات حولك .

فمثلًا هروبك من المراقبة على نحو ما فعلت كان تصرفًا أحمق من جانبك ولم يحقق لك الأمان الذى تتحدث عنه بل زاد من عوامل الشك فيك .

ـ وها أنا قد جئت إليكم بنفسى بحثًا عن الحماية لأجدك تتهمنى بشكل مباشر أننى قتلت (نافع) .

جلس (حاتم) خلف مكتبه قائلًا :

ـ لست واثقًا تمامًا من ارتكابك للجريمة .. رغم كل الظواهر التى تدينك .

فلدىَّ بعض الشك فى أن هناك من يحاول توريطك فى هذا الأمر .. وهذا ما يتعيَّن عليك أن تخشاه .

ـ ولكن .. لمَ أنا بالذات ؟

ـ لأن كل الظروف والملابسات أصبحت تحيط الآن بك وتجعلك الشخص المناسب لإلقاء تبعة الجريمة عليه .

أقصد الجريمتين .. مقتل (نافع) و(نادر) شقيقه .

فالقتيلان يمتان لك بصلة قرابة .. وأنت الشخص الوحيد تقريبًا الذى كانا يترددان عليه فى (الإسكندرية) .

ولابد أن الجانى قد علم أن كلا من (نافع) وأخيه قد أخبراك عما يدور بشأن عمليات التهريب فى الميناء فأراد أن يضرب عصفورين بحجر واحد.

يقضى على (نافع) كما فعل بأخيه .. وتدخل أنت السجن أو ينتهى بك الأمر إلى الإعدام .

أسقط فى يد الرجل فظل ينظر إليه واجمًا .

بينما استطرد (حاتم) قائلًا :

ـ فإذا أردت أن تساعد نفسك فى عدم التورط فى تلك المسئولية يتعين عليك أن تساعدنا فى الوصول إلى الجانى أو الجناة الحقيقيين .

ـ وكيف يمكننى ذلك ؟

ـ بأن تخبرنى عن كل ما تعرفه بشأن (جابر العوضى) والمحيطين به .

ـ لكنى لا أعرف عنه الكثير .

ـ قل كل ما لديك .. فمن يدرى ربما أفدتنا بالقليل الذى تعرفه فى التوصل إلى نتائج هامة .

ـ أنا تحت أمرك .

ـ سأطرح عليك بعض الأسئلة وأريدك أن تجيبنى عليها بمنتهى الصدق والأمانة وبدون أن تخفى عنى أى تفاصيل مهما كانت .

***

الفصل الثامن

ذهب (حاتم) إلى الميناء لمقابلة بعض العاملين هناك ممن ذكرهم (فاروق) وتحوم حولهم الشبهات .

لكن الأسئلة التى طرحها عليهم لم تأت بجديد ولم يخرج منها بشىء ذى قيمة .

وفى نهاية اليوم وجد نفسه وقد بذل جهدًا بغير فائدة تجدى ، ولم يعد متبقيًا أمامه سوى سؤال المدير المسئول عن حركة النشاط التجارى بالميناء والمدعو (سالم شاهين) حيث أخبره سكرتيره بأنه موجود على رصيف الميناء بالقرب من إحدى السفن اليونانية الراسية هناك .

فذهب إليه متخذ طريقه بين الحاويات وصناديق الشحن المتراصة فوق الأرصفة .

ليسأل عنه أحد العاملين بالميناء فأشار إلى شخص طويل القامة .. نحيل الجسد ذى انحناءة بسيطة فى ظهره .

كان الرجل يتحدَّث إلى أحد الأشخاص بانفعال شديد حينما اقترب (حاتم) منه قائلًا :

- أستاذ (سالم) .. هل تسمح لى ببضع دقائق من وقتك ؟

التفت إليه وهو ما زال منفعلًا قبل أن تتبدل ملامحه ليرحب به ببشاشة قائلًا :

- أهلًا وسهلًا سيادة العقيد .. أنا فى خدمتك .

قال (حاتم) بدهشة :

ـ يبدو أنك تعرفنى .

ابتسم الرجل قائلًا :

ـ لست وحدى .. فمعظم العاملين بالميناء يعرفون أنك المحقق المختص بالتحقيق فى مقتل (جابر العوضى) .

قال (حاتم) وهو يسير بجواره :

ـ الأمر لم يعد متعلقًا بـ (جابر العوضى) فقط .. بل هناك شخص يدعى (نادر صفوان) من العاملين فى جمرك الميناء أيضًا قد لقى مصرعه من قبل وما زالت الشبهات تحوم حول الطريقة التى لقى بها حتفه .

فكر قليلًا قبل أن يقول :

ـ (نادر صفوان) .. أظن أننى سمعت عن هذا الاسم من قبل لكنه لا يعمل فى إدارتى .. آه .. تذكرت أليس هو ذلك الشاب الذى قيل إنه مات غرقًا وهو يسبح ؟

ـ أجل ومن الغريب أن يلقى شاب مشهور له بالمهارة فى السباحة مصرعه غرقًا على هذا النحو وفى ظروف مريبة .

على أية حال دعنى أسألك عن (جابر العوضى) أولًا .. لقد سمعت أنك كنت على صلة وطيدة به .. لذا يهمنى أن أعرف منك بعض المعلومات عنه .

قال الرجل مبديًا تأثره :

ـ رحمه الله .. كان صديقًا عزيزًا .. وشعلة من النشاط والحيوية ومتفوقًا للغاية فى عمله .

ـ هناك شائعات أثيرت حول أن الرجل كانت له علاقة بعمليات تهريب .. وأنه كان يستغل وظيفته وبعض علاقاته بأشخاص هنا فى تنفيذ تلك العمليات .

نظر إليه الرجل مستنكرًا وهو يقول :

ـ سامح الله كل من يروجون الشائعات المغرضة .. (جابر العوضى) كان رجلًا شريفًا بكل ما تعنيه الكلمة .. وكل المسئولين فى الميناء كانوا يشيدون به وبنزاهته وملفه يؤكد ذلك .

لكن شأنه شأن كل رجل ناجح ومتميز كان له أيضًا الكثير من الحاقدين والحاسدين الذين يريدون الإساءة للرجل وتشويه سمعته .

ـ تقصد أنه كان له أعداء .

ـ دائمًا الناجحون لهم أعداء .. بعضهم ظاهر وبعضهم خفى .

ـ إذن هل يمكنك أن تذكر لى بعض الأسماء ؟

ـ فى الحقيقة أنا لا أعرفهم .. خاصة أن الكثير منهم يكونوا أعداء متخفين فى ثياب الأصدقاء مما يصعب معه التعرف عليهم .

ـ لكن هل تظن أن العداء يمكن أن يصل بالبعض إلى حد القتل ؟

ـ ولِمَ لا ؟ حينما يتمكن الحقد والكراهية من البعض فذلك قد يؤدى إلى فعل ما لا يمكنك تخيله .

خاصة أن (جابر) كان مرشحًا لمنصب هام يتنافس عليه الكثيرون والبعض كان يستكثر عليه هذا المنصب ويرى أنهم أحق به منه .

ـ لكن بغض النظر عما تقوله فإن هناك أحاديث كثيرة دارت حول علاقته ببعض الأشخاص داخل الميناء واستغلاله لمنصبه فى القيام بعمليات تهريب المخدرات .

ـ وأنا بحسب صلتى وصداقتى لهذا الرجل أجزم بأن هذا الكلام غير صحيح وأن الأمر لا يعدو كونه مجرد شائعات وضغائن .

توقف (حاتم) عن مواصلة السير لينظر إليه قائلًا :

ـ بعض الشائعات قد تنطوى أحيانًا على قدر من الحقائق .

ـ وأنا قلت لك ما يرضى ضميرى بشأن الرجل .

وفى تلك اللحظة حضر أحدهم ليحدث (سالم) قائلًا :

ـ لقد انتهيت من إصلاح محرك اللنش .

أومأ له وهو يشعل سيجاره لنفسه قائلًا :

ـ حسن سآتى بعد قليل لألقى عليه نظرة .. أسبقنى إلى هناك .

انصرف العامل فى حين تحول (سالم) إلى (حاتم) ليسأله قائلًا :

ـ أيمكننا استكمال الحديث بينما أتفحص المحرك ؟

تابع (حاتم) السير معه قائلًا :

ـ بالطبع .. هل تمتلك قاربًا بخاريًا ؟

ابتسم وهو ينفث دخان سيجارته قائلًا :

ـ أجل .. وقد كلفنى إصلاحه الكثير .

وتوقف فجأة ليخرج علبة سجائره ويقدم منها سيجارة لـ (حاتم) قائلًا :

ـ لا تؤاخذنى فقد تصرفت بعدم لياقة .. تفضل سيجارة .

ـ أشكرك .. فأنا لا أدخن .

أعاد العلبة لجيبه قائلًا :

ـ فعلت خيرًا .. إنه أحد عيوبى التى لم أتمكن حتى الآن من الإقلاع عنها

وأشار إلى القارب البخارى بجوار رصيف الميناء قائلًا :

ـ ها هو قاربى .

وهبط إلى قاع القارب ليلقى نظرة فاحصة على المحرك وبصحبته العامل الذى قام بإصلاحه حيث قام بتشغيله ليؤكّد له صلاحيته .

بينما ظل (حاتم) واقفًا على الرصيف يتأمل القارب .

كان القارب من طراز حديث ويتسع لحوالى أربعة أشخاص تقريبًا مطلى باللون الأحمر ويبدو مجهزًا تجهيزًا عاليًا .

وابتسم (حاتم) لنفسه فهو لم يحلم مطلقًا بامتلاك شىء كهذا يومًا ما .

كان حلمه منذ الصغر مقتصرًا على ركوب قارب شراعى يطوف به محافظات مصر فوق صفحة مياه النيل .

لكن حتى هذا الحلم المتواضع لم تتح له إمكانية تحقيقه .

وما لبث أن تلاشى من مخيلته مع التقدم فى العمر .

وفجأة جذب اهتمامه شىء ما فى القارب انتزعه من أفكاره وذكرياته .

فقد لمح بعض الخدوش البسيطة فى مقدمته وقد بدت كما لو أنها نجمت عن احتكاك مقدمة القارب بشىء صلب .

وانتهز فرصة انشغال الرجل بتجربة المحرك ليقترب من مقدمة القارب جاثيًا على ركبتيه مخرجًا مدية صغيرة من جيبه وعيناه تراقبان الرجلين لينتزع بمديته رقيقة خشبية صغيرة من مقدمة القارب .

وقبل أن ينتبه إليه أحدهما كان قد أخفاها فى جيبه .

وسرعان ما عاد (سالم) إليه وهو يبتسم قائلًا :

ـ أراك تتأمل قاربى بتمعن .. يبدو أنه نال إعجابك .

هز (حاتم) رأسه قائلًا :

ـ لا يمكننى أن أنكر ذلك .. لابد أنه كلفك الكثير .

ـ هو يستحق ما دفعته فيه على أية حال .. خاصة أننى من المغرمين بالرحلات البحرية .

ما رأيك لو اصطحبتك معى الآن فى نزهة بحرية قصيرة .

ـ ربما فيما بعد .. لأنى مضطر إلى الذهاب الآن .

صافحه قائلًا :

ـ على أية حال إذا شئت أن تروح عن نفسك فى أى وقت برحلة بحرية ممتعة سيسعدنى أن أحقق لك هذه الغاية كما يمكننا أيضًا أن نصطاد سويًا.

ابتسم (حاتم) :

ـ أشكرك .. سيسرنى ذلك بالتأكيد .

***

وعاد إلى مكتبه مسرعًا ليفتح أحد أدراجه مخرجًا منه المنديل الذى يحتوى على تلك الرقائق الخشبية التى عثر عليها فى الجزيرة ، ثم جلس وهو يضعها أمامه فوق المكتب وإلى جوارها تلك التى انتزعها من مقدمة القارب البخارى

حيث أخرج عدسة مكبرة من الدرج ليفحص كليهما بدقة قبل أن يفتر ثغره عن ابتسامة كبيرة وهو يغمغم قائلًا :

ـ لقد كنت مصيبًا .. لا ريب أنه نفس نوع الخشب ومطلى بنفس اللون

فوجئ (سالم) حينما رأى (حاتم) يأتى لزيارته فى منزله ليلًا وفى نفس اليوم الذى تلاقيا فيه صباحًا .

ـ (حاتم) بك .

ـ معذرة إذا كنت قد أزعجتك بهذه الزيارة المفاجئة .

قال وهو يفسح له المجال ليدخل :

ـ أبدًا .. أبدًا .. تفضل .

تقدم (حاتم) إلى الداخل متأملًا المكان حوله وهو يقول :

ـ منزل أنيق للغاية وينم عن الثراء والذوق الرفيع .. تمامًا مثل قاربك

بخارى .

دعاه للجلوس فى الردهة مخفيًا امتعاضة وهو يغمغم قائلًا :

ـ أشكرك على تلك المجاملة اللطيفة .

وضع (حاتم) ساقًا على ساق قائلًا :

ـ ما دعانى للمجىء هو أننى نسيت أن أسألك اليوم سؤالًا هامًا .

ـ أسأل ما تشاء .. لكن ماذا تشرب أولًا ؟

ـ لا داعى لذلك .. لن أنتظر طويلًا فلدىَّ موعد هام ، سؤالى هو .. بما أنك

ت على علاقة وطيدة بـ (جابر العوضى) فلابد أن لديك معلومات بشأن

لته بشخص يدعى (منتصر) .. أليس كذلك ؟

فكر الرجل وهو يغمغم قائلًا :

ـ منتصر .. (منتصر) .. لا أظن أننى سمعت منه أو من غيره عن شخص

هذا الاسم من قبل .

ـ ولا عن شخص آخر يدعى (الإسناوى) .

ـ ولا هذا أيضًا .

وفجأة اندفع من الداخل كلب ضخم ليتعلق بساق الرجل وهو يهز ذيله .

وقد انزعج (سالم) لمجيء الكلب فنادى على خادمه بعصبية قائلًا :

ـ (رجب) .. قلت لك اربط هذا الكلب .. تعالَ لتأخذه من هنا .

أتى الخادم مهرولًا وهو يعتذر قائلاً :

ـ آسف يا سعادة البك .. لقد غافلنى وأنا أعد له الطعام و ...

قال له محتدًا :

ـ هيا .. خذه إلى الداخل .

جذبه الخادم من طوقه ليصحبه إلى الداخل رغم عناد الكلب ومحاولته البقاء مع سيده قائلًا له :

ـ هيا يا (بوب) .. لا تكن عنيدًا .

ابتسم (حاتم) وهو يتابع الكلب بنظراته قائلًا :

ـ لديك كلب قوى .. يبدو أنه من سلالة جيدة .. أظن أنه (دوبرمان) .

قال له متبرمًا :

ـ أجل .

ـ حسنًا يا سيد (سالم) .. آسف إذا كنت أزعجتك أو عطلتك عن شىء .

قال الرجل وهو يحاول أن يستعيد هدوء أعصابه :

ـ أنا فى خدمتك دائمًا يا سيادة المحقق .

واصطحبه إلى الباب الخارجى مردفًا :

ـ وإن كنت أرجو أن تتصل بى مسبقًا فيما بعد لأننى أغادر المنزل كثيرًا فربما تأتى ولا تجدنى .. وأيضًا للقيام معك بواجب الضيافة كما يجب .

قال (حاتم) وهو يبتسم بخبث :

ـ أكيد سأراعى ذلك مستقبلًا .. لقد أعجبنى كلبك كثيرًا يا سيد (سالم)

ـ أشكرك .

***

قاد (حاتم) سيارته وقد تزاحمت الأفكار فى ذهنه .. محاولًا الربط بين تلك الخيوط التى بدأت تتكشف أمامه تدريجيًا .

الرقائق الخشبية المتشابهة .. وهذا الكلب الشديد الشبه بالكلب الذى يقتنيه (فاروق) .

وما لبث أن التمعت عيناه ببريق غير عادى قائلًا لنفسه :

ـ هكذا أظن أن الصورة قد اتضحت الآن .

***

الفصل التاسع

ذهب (حاتم) إلى الشاليه الذى أقام فيه (فاروق) وكلبه تحت حراسة مشددة ليجده جالسًا أمام التلفاز يأكل الفشار ويشاهد أحد الأفلام .

وما إن رآه حتى نهض قائلا :

ـ أهلًا (حاتم) بك .

اتجه (حاتم) إلى التلفاز ليغلقه ثم استدار إليه قائلًا :

ـ أظن أنك بدأت تعتاد المكان هنا .

هز رأسه قائلًا :

ـ أشعر الآن بقدر من الطمأنينة وإن كنت لا أزال متوجسًا بعض الشىء .

دعاه (حاتم) للجلوس قائلًا :

ـ اجلس يا (فاروق) .

وجذب مقعدًا ليجلس عليه وهو يقترب منه قائلًا :

ـ أظن أننى بدأت أقترب من القبض على الشخص المسئول عن مقتل أبناء عمك .

www.riwaya.ga

وصمت برهة قبل أن يستطرد :

ـ لكن الأمر سيحتاج منك إلى مساعدة جدية هذه المرة لتحقيق ذلك .

قال الرجل مستغربًا :

ـ لكنى أطلعتكم على كل ما أعرفه بالفعل .

ـ مطلوب منك ما هو أكثر من ذلك .

ـ كيف ؟

ـ المهم هل أنت مستعد للمزيد من التعاون معنا ؟

ـ أنا تحت أمرك .

ـ حتى لو تطلب الأمر ترتيب لقاء مباشر بينك وبين الشخص المشتبه به ؟

ارتبك قليلًا وهو يتلعثم قائلًا :

ـ أنا .. لكن أنت تعرف أننى .....

قاطعه قائلًا :

ـ تفتقر إلى الشجاعة وتؤثر السلامة .. أعرف ذلك لكن أظن أنه قد آن الأوان لتتخلى عن سلبيتك تلك وتتعاون معنا تعاونًا جديًا للحصول على الدليل الذى نحتاجه لإدانة الشخص المسئول عن قتل أبناء عمك .

خفض الرجل بصره وقد بدت عليه أمارات الحيرة والتردد بينما أردف (حاتم) قائلًا :

ـ إنها لحظة حاسمة الآن فى حياتك وفى مجريات القضية .. وعليك أن تقرر ما إذا كنت ستستمر فى الركون إلى مخاوفك أم تكون شخصًا إيجابيًا لديه القدرة على المساعدة فى الثأر لأبناء عمومته .

أنا لن أجبرك على شىء .. خاصة أننى أعرف أن دورك فى التعاون معنا إذا ما وافقت قد ينطوى على قدر من المخاطرة ويحتاج للتحلى بالشجاعة .

لكنى أعرف أنك مستاء من نفسك .. لأنك فى أعماقك غير راضٍ عن موقفك السلبى تجاه (نافع) و(نادر) ولأنك لم تقدم لهم المساعدة الكافية التى ربما كانت لتنقذهم من الموت وذلك بحكم موقعك فى الميناء وما تعرفه من أسرار لو تم الكشف عنها فى وقتها وأبلغت الشرطة بها لحال ذلك دون وقوع الجريمتين .

لكن حتى لو كنت قد أخطأت فى الماضى فأمامك الآن فرصة حقيقية لإصلاح هذا الخطأ والانتقام للمجنى عليهما .

وفرصة أيضًا للتصالح مع نفسك واستعادة شجاعتك المفقودة فأما أن تستغلها أو تبقى بقية عمرك مع هذا الشعور بالخزى من نفسك والندم على تخاذلك .

نجحت كلماته فى استفزاز مشاعر (فاروق) فتبدلت ملامحه لتتخذ مظهرًا حماسيًا وهو ينظر إليه قائلا :

ـ أنا مستعد لتنفيذ كل ما تطلبه ومهما كانت المخاطرة .

ابتسم (حاتم) وهو يربت على كتفه قائلًا :

ـ يسعدنى أن أسمع منك ذلك .. دعنا إذن نتفق على الخطوات التالية والدور الذى ستلعبه فيما هو قادم .

***

قبل أن يستعد (سالم) لمغادرة مكتبه فوجئ بـ (فاروق) يقتحم عليه حجرته قائلًا :

ـ صباح الخير يا (سالم) بك .

نظر إليه بدهشة تمتزج بالغضب وهو يقول :

ـ من أنت ؟ وكيف تدخل مكتبى هكذا دون استئذان ؟

قال له بنبرة ساخرة :

ـ معذرة .. يبدو أن سكرتيرك لا يؤدى عمله على الوجه الأكمل لأننى لم أجده بالخارج لأستئذن منه قبل الدخول .

قال له بغلظة :

ـ ماذا تريد ؟

ـ لابد وأنك تعرفنى لأننى زميل لك فى العمل بالميناء .

ـ أنا أسألك عما تريد .

جلس دون استئذان قائلًا :

ـ لا شىء سوى أن أعود إلى منزلى وحياتى الطبيعية .

ـ وما شأنى بذلك ؟

قال وهو يضع ساقًا على ساق :

ـ هو شأنك بلا شك .. فأنت المسئول عن كل المتاعب التى أتعرض لها حاليًا .

قال له بضيق :

ـ ما هذا التخريف الذى تقوله ؟ أنا ليست لى بك أية علاقة .

حدجه بنظرة تحد قائلًا :

ـ كيف ولك علاقة وثيقة بمقتل اثنين من أبناء عمى .. (نافع) و(نادر صفوان) ؟

حدق فى وجهه منفعلًا وهو يقول :

ـ لابد أنك مجنون .

تجاهل ما قاله مردفًا :

ـ وليتك اكتفيت بذلك .. بل رتبت للجريمتين بحيث أبدو وكأننى المسئول عن مقتلهما أو على الأقل أحدهما .

ـ أنت مجنون بالفعل .

واصل كلامه قائلًا :

ـ وهكذا أصبحت موضع شك لدى رجال الشرطة ومعرضًا للقبض علىّ فى أى لحظة وإيداعى فى السجن وربما الإعدام دون أى جرم ارتكبته بسبب الشبهات المحيطة بى .

فهم يراقبون منزلى ليلًا ونهارًا ويطاردوننى أينما ذهبت فى انتظار اللحظة المناسبة للقبض علىّ .

ومن يدرى ؟ ربما يظنون أيضًا أن لى دخلًا فى مقتل (جابر العوضى) .. رغم أنك المسئول عن كل ذلك .

علا صوته قائلًا :

ـ إذا لم تغادر حجرتى الآن سأستدعى لك .....

قاطعه بسخرية قائلًا :

ـ تستدعى من ؟ الأمن أم رجال الشرطة .. هيا افعل لو أردت وإن كنت لا أنصحك بذلك .. لأن هذا سيضر كثيرًا بسمعتك ومستقبلك إذا ما قبضوا علىّ وأطلعتهم على كل ما لدى .، هذا إلا إذا كنت تنوى القضاء علىّ أنا الآخر كما فعلت بمن قبلى .

ونهض ليواجهه بوجه صارم مستطردًا :

ـ لكن يجب أن تعرف أن ذلك لن يكون هينًا كما حدث مع الآخرين .. فقد احتطت لنفسى جيدًا ورتبت للكشف عن كل جرائمك بطريقة ستدهشك فى حالة قتلى .. سواء بالنسبة لمن قتلتهم أو لعمليات التهريب التى تضطلع بها .

وصدقنى سيلحقك أذى كبير إذا ما أقدمت على أية حماقة معى .

ـ أنا ليست لى أية علاقة بتلك الأشياء التى تتحدث عنها .

ـ لقد أطلعنى (نافع) قبل موته على كل شىء ولديه مستندات وأوراق تدل على مشاركتك فى أعمال التهريب التى تحدث فى الميناء وكذلك أسطوانة كمبيوتر أرسلها له شقيقه قبل وفاته يحدثه فيها عن إحساسه بالخطر الذى يترصده .. وإنه إذا تعرض لأى مكروه فإنك ستكون المسئول عن ذلك .

قال له ساخرًا :

ـ حسن .. إذا كان لديك ما يبرئك فلمَ لم تطلع عليه الشرطة لتحيا حياتك الطبيعية بدلًا من أن تأتى لتهددنى فى مكتبى .

ـ لسببين .. الأول لست واثقًا تمامًا إن هـذا سيكفى لتبرئتى بعد أن وضعتنى موضع الشبهات فى جريمة قتل (نافع) بسبب التشابه بين كلبك وكلبى وما قاله المرحوم (نافع) قبل موته واعتمدت عليه لإثبات التهمة ضدى وقد لا يكون السى دى دليلًا قاطعًا على مسئوليتك عن مقتل (نادر) إذ يمكن لأى محامٍ بارع أن يدحض ما جاء فيه .. لكن الحديث عن عمليات التهريب المقترنة بالجريمتين سيعوق نشاطك بلا شك ويؤدى إلى إثارة البلبلة حولك ويجعلك موضعًا للشبهات والتحريات بالنسبة لمكتب مكافحة التهريب .

حتى لو لم يتمكنوا من القبض عليك فى فترة قريبة فإنك ستكون مضطرًا للتوقف عن نشاطك السرى والذى يدر عليك ذهبًا لفترة زمنية طويلة .. وهذا سيؤدى بلا شك إلى خسائر فادحة بالنسبة لك .

مما يقودنا إلى السبب الثانى فى عدم تسرعى بإبلاغ الشرطة بما فى حوزتى .. وهو أننى قدرت أن التفاهم بيننا ربما سيعود بفائدة أكبر بالنسبة للطرفين .

نظر إليه بعينين يتطاير منهما الشرر قائلًا :

ـ نتفاهم على ماذا ؟

قال له مبتسمًا بخبث :

ـ ٣ ملايين جنيه .

حدجه بنظرة جاحظة قائلًا :

ـ ماذا ؟

ـ ٣ ملايين جنيه وجواز سفر عليه تأشيرة صالحة إلى الخارج أضمن لك بعدها أن تبقى كل جرائمك فى طى الكتمان وأن لا ترانى بعدها نهائيًا .

ألا يساوى ذلك واحتفاظك بصورة الرجل الشريف النظيف أمام الجميع هذا المبلغ التافه .

أظن أنه أقل من نصف ما تكسبه فى كل عملية تهريب تقوم بها .

صمت (سالم) برهة قبل أن يجلس وهو ينظر إليه قائلًا :

ـ بفرض أننى وافقت على تلك الخزعبلات التى تقولها ونفذت لك ما تطلبه .. ما الذى يضمن لى سكوتك بعدها ؟

ابتسم (فاروق) قائلًا :

ـ وما الذى سيعود علىَّ من الكلام فى هذا الشأن ؟ لست مستعدًا لإثارة الشبهات حولى من جديد .. سأبدأ حياة جديدة فى أى مكان فى العالم بالملايين التى ستعطيها لى وأتمنى أن ينسى العالم بعدها كل شىء عن (فاروق حلمى) .

ـ هذا ليس كافيًا .

ـ أعرف .. تريد السى دى الذى يدينك .

ـ بالضبط .

ـ عندما تسلمنى النقود وجواز السفر سأسلمه لك .

فكر قليلًا .. ثم نهض ليشعل سيجاره لنفسه قائلا بنبرة أهدأ :

ـ أظن أنه يمكننا أن نتفاهم فى هذا الشأن .

قال (فاروق) وقد اتسعت ابتسامته :

ـ كنت واثقًا أنك تتميز بالذكاء والحكمة .

وضع سيجارته فى المطفأة ، ثم اقترب منه قائلا :

ـ هل تسمح ؟

وسرعان ما باغته بتفتيش ثيابه تفتيشًا دقيقًا .. بينما وقف (فاروق) مستسلمًا وهو يقول ضاحكًا :

ـ أظننت أننى أخفى جهاز تنصت ؟

ـ الاحتياط واجب .

ـ لا بأس أنا أقدر الأشخاص الذين يتميزون بالحرص والحذر .

أنهى (سالم) تفتيشه ليقوم بعدها بتسوية ثيابه وهو يستطرد قائلًا :

ـ ها أنت قد تأكدت من حسن نواياى .. أرجو أن تثبت لى أنت أيضًا حسن نواياك بشأن ما اتفقنا عليه .

ـ سألتقى بك بعد ثلاثة أيام بالتحديد فى العاشرة مساءً بالفنار القديم .. هل تعرفه ؟

ـ بالطبع .. وإن المكان موحشًا بعض الشىء .

ـ من الأفضل أن ننهى هذا الأمر فى مكان منعزل وبعيد عن الأنظار .

ستكون هناك سيارة فى انتظارك على مقربة من مكتبى لتنقلك إلى اللنش الخاص بى والذى سيأتى بك إلى الفنار .. تعطينى الشريط وتأخذ المبلغ الذى طلبته وجواز السفر .

قال له محذرًا :

ـ من الأفضل ألا تغدر بى فأنت تعرف جيدًا عاقبة ذلك .

ـ ومن الأفضل لك أيضًا أن تكون بمفردك ومعك الشريط .. لو تتبعك أحد أو شعرت للحظة واحدة أنك مراقب سيعتبر الاتفاق لاغيًا .. وليس ذلك فقط .. بل ستكون العواقب بالنسبة لك وخيمة أيضًا .

ـ لن يكون معى إلا كلبى .

ـ لست بحاجة لمرافقة كلبك .

ـ هذا هو شرطى الوحيد فقد أعتاد أن يرافقنى فى النزهات الليلية .

فكر قليلًا قبل أن يقول :

ـ لا بأس على أن تكون هناك كمامة حول فمه فنباح الكلاب يلفت الأنظار فى تلك الاماكن المنعزلة .

ابتسم (فاروق) قائلا :

ـ بلا شك .. خاصة وأن لديك كلبًا مماثلًا وتعرف الكثير عن طباع الكلاب .. أظن أن كلًا منا يتعيَّن عليه أن يخاطر بقدر من الثقة على أن تكون المخاطرة محسوبة .

***

الفصل العاشر

ما أن غادر (فاروق) مكتبه حتى تنفس الصعداء وهو لا يصدق أنه نجح فى أداء دوره بهذا الاتقان .

وسار فوق رصيف الميناء معجبًا ببراعته وتمكنه من مواجهة هذا الموقف العصيب الذى اضطره للتعامل مع ذلك الرجل الخطير .

وفى نهاية الرصيف كان أحد ضباط المباحث واقفًا يتحدَّث مع قبطان إحدى السفن حينما لمحه يضع نظارة شمسية سوداء فوق عينيه وهو يمر على مقربة منه .

كانت هذه هى الإشارة المتفق عليها للدلالة على نجاحه فى أداء دوره .

وفى اليوم الموعود غادر منزله وبصحبته كلبه بعد أن وضع كمامة على فمه كما اتفقا متخذًا طريقه نحو مكتب (سالم) .

وعلى مسافة ثلاثين مترًا من المكان الذى يقصده توقفت سيارة رمادية على مقربة منه وقد أطل سائقها من النافذة قائلًا :

ـ أنت (فاروق الحناوى) ؟

ـ نعم .

ـ ضع كلبك فى المقعد الخلفى واركب بجوارى ، الريس فى انتظارك .

نفذ (فاروق) ما طلبه منه الرجل لتنطلق به السيارة بعيدًا .

وعلى مسافة غير بعيدة منه كان (حاتم) وأعوانه يتتبعون الإشارة اللاسلكية فى الجهاز الدقيق المختفى فى ساعة اليد التى يضعها حول معصمه من داخل سيارة سوداء كبيرة .

وفى تلك اللحظة كانت السيارة التى تقل (فاروق) قد اتخذت طريقها إلى براب تحت الأرض وهى تنطلق بسرعة فائقة .

مما أثار قلقه .. فسأل السائق قائلًا :

ـ إلى أين نذهب ؟ هذا ليس طريق الميناء .

لكن بدلًا من أن يجيبه أوقف السيارة فجأة ليصوب إليه مسدسه قائلًا :

ـ تجرد من ثيابك .

نظر إليه بدهشة قائلًا :

ـ ماذا ؟

لوح بمسدسه فى وجهه قائلًا :

ـ افعل ما أقوله بلا نقاش .

زمجر الكلب رغم الكمامة وبدا متوترًا .

فعاد الرجل ليقول :

دع كلبك يلتزم الهدوء وإلا أرحتك منه نهائيًا .

حدث (فاروق) كلبه قائلًا :

ـ اهدأ يا (عنتر) .

وقام بنزع ثيابه .. حيث استحثه الرجل قائلًا بغلظة :

ـ هيا بسرعة .

أطاعه (فاروق) وقد أشار مستطردًا :

ـ وحذاءك وساعتك أيضًا .

وفى تلك اللحظة غادر السيارة المجاورة شخص آخر ليعطيه كيسًا بلاستيكيًا يحتوى على حذاء وبعض الملابس قائلًا :

ـ يمكنك أن ترتدى هذه الثياب بدلًا من ثيابك .

عاد الرجل الأول ليلوح بمسدسه قائلًا :

ـ أكمل ارتداء ثيابك بعد أن تنتقل للسيارة الأخرى .

قال (فاروق) مرتبكًا :

ـ إننى لا أفهم لمَ كل هذا ؟

ألقى صاحب المسدس الأسطوانة المعدنية بعد استخراجها من ثياب (فاروق) لزميله ليتلقفها سريعًا قائلًا :

ـ ها هى أسطوانة السى دى .. بينما انتقل (فاروق) وكلبه إلى المقعد الخلفى للسيارة الأخرى ليكمل ارتداء ثيابه بداخلها .. فى حين انتقل الرجل المسلَّح إلى المقعد الأمامى بدوره بجوار السائق ليغادر المرأب مسرعًا من الجهة الأخرى .. وبعد عدة دقائق قليلة كانت السيارة التى تقل (حاتم) ورفاقه قد اقتربت من المرأب .

حيث قال أحدهم :

ـ يبدو أن السيارة قد دلفت إلى هذا المرأب الأرضى ولم تغادره بعد لأن الإشارة ثابتة ولا تتحرك أبعد من هذا المكان .

سأله (عاطف) قائلًا :

ـ هل نلحق بهم ؟

قال زميل آخر :

ـ من الممكن أن يغادروا المرأب من الجهة المقابلة .

(عاطف) :

ـ لا بأس ما دمنا نتتبع الإشارة .

قال (حاتم) مترددًا :

ـ ومن يدرى ربما كان توقفهم على هذا النحو داخل المرأب يعنى تعرض (فاروق) لخطر ما .

وما لبث أن هتف أحدهم قائلًا :

ـ شىء غريب .

التفت إليه (حاتم) قائلًا باهتمام :

ـ ما الذى حدث ؟

ـ بينما الإشارة اللاسلكية الصادرة من ساعة (فاروق) ثابتة فى مكانها .. فإن الإشارة الأخرى المنبعثة من طوق الكلب تتحرك فى اتجاه آخر .

قال (حاتم) منزعجًا :

ـ تحركوا سريعًا إلى المرأب .

وفى المرأب كانت المفاجأة .

حيث وجدوا ثياب (فاروق) وساعته وحذائه داخل السيارة الرمادية وقد خلت من راكبيها .

بدا (عاطف) منزعجًا بدوره وهو يسأل قائلًا :

ـ ماذا يعنى ذلك ؟ هل اكتشفوا أمره ؟

غمغم (حاتم) قائلًا :

ـ أو ربما زيادة فى الحرص من جانبهم .. أظن أن (سالم) وأعوانه ما زالوا مرتابين فى الرجل وأرادوا التأكد من أنه لا يخفى أى جهاز تنصت أو تتبع فى ثيابه .

شخص مثل (سالم) لابد وأنه يتميز بالحرص الشديد .

قال زميلهم داخل سيارة المراقبة :

ـ لكن حركة الإشارة لا تتجه نحو الفنار القديم .

غمغم (حاتم) قائلًا :

ـ يبدو أنها محاولة للتضليل .

(عاطف) :

ـ وما العمل ؟

هتف (حاتم) قائلًا وهو يشير إلى السيارة الرمادية :

ـ أنت تعرف كيف تتعامل مع محرك هذه السيارة بلا شك ؟

قال له بثقة :

ـ بالتأكيد .

ـ إذن خذها وانطلق بها مع اثنين من الزملاء إلى الفنار ، أما أنا فسأركب مع (رامز) و(زكريا) سيارة المراقبة لنتتبع جهاز الإرسال فى طوق الكلب ربما أسفر ذلك عن العثور على (فاروق) فى أحد الأماكن التى توجهوا إليها .

وقفز داخل سيارة المراقبة وهو يردف قائلًا :

ـ سنكون على اتصال ببعضنا البعض أثناء الطريق ليخبر كل منا الآخر بما لديه من معلومات .

ولم يمضِ سوى وقت قصير حتى اتصل (عاطف) بـ (حاتم) بعد اقترابه من السيارة التى حملت (فاروق) وكلبه قائلًا :

ـ كان تخمينك فى محله .. لا يوجد أحد فى الفنار .. لم يكن ذلك سوى مجرد تمويه فقط .

غمغم (حاتم) قائلًا :

ـ لقد احتاط للأمر جيدًا .

وألقى نظرة من خلال نظارته المكبرة على السيارة التى تحمل الكلب ليرى سائقها وقد فتح بابها جالسًا على مقعدها الأمامى وهو يمد ساقيه على الأرض خارجها ويدخن سيجاره .

بينما استطرد (حاتم) قائلًا :

ـ من حسن الحظ أنهم لم ينتبهوا للجهاز الذى زرعناه فى طوق الكلب .. أعتقد أن مجموعتنا تقترب من الهدف المنشود .

اقترب الضابط (رامز) من سائق السيارة قائلًا :

ـ هل تسمح لى ؟

نهض الرجل متحفزًا وهو ينظر إليه قائلًا :

ـ ماذا تريد ؟

ـ إننى أسأل عن الباخرة روزيتا .. هل تعرف أى رصيف من أرصفة الميناء ترسو عليه ؟

قال له بغلظة :

ـ كلا لا أعرف .

ـ لكنى فقط أردت .....

قال وقد ازداد صوته خشونة :

ـ من الأفضل لك أن تبتعد عن هنا .

وقبل أن يكمل جملته كان قد تلقى ضربة قوية على رأسه من الخلف هبط على أثرها مغشيًا عليه .

وحينما استرد وعيه رأى الضابط (زكريا) واقفًا بجوار زميله وهو يصوب إليه مسدسه .

فقال لهما مترنحًا :

ـ من أنتم ؟ وماذا تريدون ؟

وما لبث أن برز له (حاتم) من خلفهم قائلًا :

ـ نريد الإجابة على سؤال بسيط .. أين ذهب سيدك ورهينته ؟ وكيف يمكننا الوصول إليه ؟

قال وهو يتحسس رأسه :

ـ أنا لا أفهم ما الذى تقصدونه ؟

اقترب (حاتم) خطوتين من الرجل قائلًا :

ـ بل أظن أنك تفهم ما نقصده تمامًا وكلما أسرعت بالإجابة كان هذا أفضل لك .

ـ قلت لك لا أعرف شيئًا عما تريدونه .

همس له (حاتم) قائلًا :

ـ (سالم شاهين) .. أين هو الآن والرجل الذى كان برفقتكم ؟

أصر على الإنكار قائلًا :

ـ لا أعرف من هو (سالم شاهين) ولا ذاك الرجل الذى تتحدث عنه .

ضغط (زكريا) بفوهة مسدسه المعدنية على جبهة الرجل قائلًا :

ـ ما رأيك يا (حاتم) بك ؟ هل أطلق رصاصة على جبهته لننهى الأمر أم نبدأ بساقه أولًا ؟

أبعد (حاتم) الفوهة المعدنية عن جبهة الشخص الماثل أمامه قائلًا لزميله :

ـ وما الداعى لإهدار رصاص مسدسك ؟ نحن لن نطلق الرصاص على أحد فلدينا وسائل أخرى للحصول على الإجابات التى نريدها .

وأشار إلى السيارة قائلًا للرجل :

ـ الكلب الذى تحتجزونه داخل هذه السيارة من أخطر أنواع الكلاب وأكثرها شراسة .. وهو شديد الإخلاص لصاحبه ولا يتقبل حتى أن يضع أحدهم يده على كتفه ولو على سبيل الهزار .

وقد رأى ما فعلتموه به وأنكم تعاملتم معه معاملة سيئة .. هل تعرف ما معنى لك ؟

معناه أننا لو نزعنا عنه كمامته والطوق الذى يقيده وفتحنا له باب السيارة سينقض عليك فى التو واللحظة لينهش جسدك تمامًا ، وأنا بطبعى لا أحب مشاهدة تلك المشاهد القاسية لذا سيكون من الأفضل لو تعاونت معنا ووفرت علىّ وعلى نفسك هذا المشهد المؤلم .

ظل الرجل صامتًا دون أن يقول شيئًا .

فرفع (حاتم) راحتيه لأعلى بحركة مسرحية قائلًا :

ـ يبدو أنه لا فائدة .. حل رباط الكلب وكمامته يا (رامز) وافتح له باب السيارة .

وحرك (رامز) مقبض السيارة فى حين اجتذبه (زكريا) من ذراعه بقوة فى اتجاه الباب الخلفى وهو مستمر فى تصويب مسدسه إليه .

وسرعان ما صرخ قائلًا :

ـ لا .. لا أبعدوا الكلب عنى سأخبركم بما تريدونه .

***

ما إن حرر (زكريا) الكلب من طوقه حتى سارع بالقفز من داخل السيارة إلى القارب البخارى المجاور لرصيف الميناء وفى أثره (حاتم) و(رامز) الذى قام بإدارة المحرك ليتخذا طريقهما إلى الجزيرة الصخرية .

وقد بقى (زكريا) مع سائق السيارة بعد أن قام بتكبيله فى انتظار مجىء بقية زملائه من شرطة المباحث الجنائية .

وبينما كان القارب يشق صفحة المياه بدا الكلب متوترًا وكثير الحركة .. ولولا الكمامة التى وضعت على فمه لانطلقت عقيرته بالنباح .

ولم يكن (حاتم) أقل حماسًا وتلهفًا للوصول إلى الجزيرة بعد أن أقر له الرجل بأن (سالم) وأحد أعوانه قد اصطحبا (فاروق) إلى هناك ، فقد أدرك أن الوقت حان للقبض على الشخص الذى يقف وراء جريمة (تل الموت) وغيرها من الجرائم .. كما أن كل دقيقة تنقضى الآن أصبحت تشكل خطرًا داهمًا على (فاروق) الذى تعهد بحمايته وتحمل المخاطرة معه لمساعدته فى إغلاق ملف هذه القضية .

وبينما هما فى طريقهما إلى الجزيرة سأله (رامز) قائلًا :

ـ لا أدرى لماذا لم يستخدم (سالم) قاربه فى الذهاب إلى الجزيرة بدلًا من الاستعانة بقارب آخر ؟

قال (حاتم) وهو يتطلع إلى الأفق الممتد أمامه :

ـ لا بد أنه فعل ذلك رغبة منه فى إبعاد الشبهات عنه وتضليلنا.. وربما يكون قد ذهب إلى الجزيرة متنكرًا أيضًا .

وربما أجبر (فاروق) على إخفاء ملامح وجهه حتى لا يكون هناك شهود من بين العاملين فى الميناء على اصطحابه معه إلى الجزيرة .

ـ لا بد من الاعتراف بأنه غريم غير سهل على الإطلاق .

غمغم (حاتم) قائلًا :

ـ نهايته قد حانت على أية حال .

وفى تلك اللحظة كان (سالم) قد انتهى من اختبار الأسطوانة السى دى التى أخذها من (فاروق) بواسطة لاب أحضره معه حيث تحوَّل إليه بعد مشاهدتها قائلًا :

ـ إذن فهذا هو القرص المزيف الذى كنت تهددنى به .

قال (فاروق) وهو يحاول التظاهر برباطة الجأش :

ـ لا أدرى لمَ تسميه مزيفًا ؟ إنه القرص الذى يحتوى على إقرار من (نادر) بمخاوفه والخطر الذى تشكله عليه أنت وعصابتك قبل موته وكذلك ضلوعك فى عمليات التهريب .

ألقى بالأسطوانة فى وجهه والشرر يتطاير من عينيه قائلًا :

ـ هل تظننى غبيًا ؟.. إن القرص لا يحتوى إلا على عدة صور ثابتة لابن عمك .

هز كتفيه قائلًا :

ـ أنا لم أقل أننى سأحضر لك شريط فيديو متحرك لابن عمى ثم إن صوته واضح وهو .....

قاطعه بحدة قائلًا :

ـ صوته .. أظننت أن تلك الخدعة يمكن أن تنطلى علىّ ؟ هناك أشخاص عديدون يمكنهم تقليد الأصوات ومحاكاتها بطريقة أفضل من تلك المستخدمة هنا .

وسرعان ما صوب إليه مسدسه قائلًا :

ـ قل لى من الذى تعاون معك لعمل تلك اللعبة الساذجة ؟

قال له مرتبكًا وقد بدأ يفارقه تظاهره برباطة الجأش :

ـ أنا لا أعرف ما الذى تتحدث عنه ؟ لقد أحضرت لك السى دى كما اتفقنا وكان عليك أن تلتزم أنت أيضًا باتفاقك معى لكن يبدو أنك تريد أن تتنصل من هذا الاتفاق .. لا تنسَ أننى أخبرتك بأن هناك من يعلم بوجودى معك الآن وأنه .....

قاطعه بصوت هادر قائلًا :

ـ وأنا أريد أن أعرف من هذا الذى يعلم وهل هو موجود حقًا أم إنه مجرد ادعاء كاذب منك كهذه الأسطوانة المزيفة ؟ أو أن هناك جهة أو شخصًا ما يقف وراءك ؟

ـ وهل تظن أننى أيضًا من الغباء بحيث أخبرك بذلك ؟ إنها ورقتى الأخيرة لإنقاذ حياتى .. فلو أخبرتك لقضيت على فى الحال .

وسرعان ما تحولت قسمات (سالم) الغاضبة إلى نظرة استهزاء وسخرية وهو ينظر إليه قائلًا :

ـ إنك مقضى عليك على أية حال فقد ضقت بك ذرعًا وعطلتنى عن أعمالى بما فيه الكفاية .

هل تعلم لما لقى (نافع) ومن قبله (نادر) حتفهما ؟ لسببين .. أولًا لأنهم دسا أنفيهما فيما لا شأن لهما به .. وثانيًا .. ثقتهما الزائدة فى نفسيهما . فأحدهما كان يظن أن إجادته للسباحة تكفى لإنقاذه من الغرق على أيد

آخرين .. والثانى كان يعتقد أنه بارع فى تسلق (تل الموت) والهبوط منه
بسلامة دون أن يحسب حسابًا لإمكانية سقوطه من أعلاه بطريقة قدرية ليلقى
مصرعه .

قال (فاروق) منفعلًا :

ـ بطريقة قدرية أم بإرهابه مستخدمًا كلبك الشرس .

قال له ساخرًا :

ـ على أية حال فإننى مستعد لأن أمنحك فرصة أفضل مما حصل عليها أبناء
عمومتك .

سأتركك تصعد هذا التل الصخرى دون حذائك .. فإذا نجحت فى الوصول
إلى قمته دون أن تنزلق سأرحل أنا ورفيقى عن الجزيرة لتعود بمفردك وتكون
قد استحققت النجاة .. ما رأيك ؟

قال له متوجسًا :

وإذا لم أفعل ؟

ـ أكون قد أبرأت ذمتى منك .. رصاصة واحدة فى رأسك تنهى الأمر ثم
ألقى بك إلى البحر لتحمل أمواجه جثتك حيثما تشاء .

ظل صامتًا لبرهة وهو لا يخفى مخاوفه .

وقد عاد (سالم) ليقول له :

ـ ليس لدىَّ وقت طويل للانتظار .. عليك أن تسرع بالاختيار .

ـ أخشى أن تُطلق علىَّ رصاصة من الخلف .

ضحك (سالم) وهو يلوِّح بمسدسه قائلًا :

ـ وما الذى يمنعنى أن أطلقها عليك من الأمام ؟ الأمر يتوقف على قدرتك وسرعتك فى التسلق .. أمامك خمس دقائق فقط من الآن لتتسلق التل الصخرى وإلا أطلقت عليك تلك الرصاصة بالفعل .

قال له مذعورًا :

ـ خمس دقائق .

نظر (سالم) إلى ساعته قائلًا :

ـ ها قد انقضت منهم ثانيتان .

سارع (فاروق) بنزع حذائه وجوربه ليهرع إلى التل محاولًا تسلق صخوره الحادة المدببة بأقصى ما لديه من قوة وسرعة بينما انتظر (سالم) حتى وصل إلى منتصف التل ثم أطلق صفيرًا عاليًا ليدفع مساعده على أثره الكلب فى اتجاه التل الصخرى بعد أن حرره من طوقه قائلًا :

ـ أنطلق يا (بوب) .

وفى تلك اللحظة كان القارب الذى يحمل (حاتم) وزميله قد اقترب من الجزيرة .

حيث طلب (حاتم) من (رامز) الدوران حول الجزيرة من الخلف وإيقاف المحرك حتى لا يلفت الانتباه .

ثم سارع بالقفز فى الماء لقطع المسافة القصيرة التى تفصله عن الجزيرة سباحة وفى أثره الكلب (عنتر) .

فوجئ (فاروق) بالكلب (بوب) يهاجمه بشراسة قبل أن يبلغ قمة التل مما جعله يضطرب بشدة .

بينما غمغم (سالم) قائلًا :

ـ لقد اخترت بنفسك أن تلقى مصير ابن عمك بسبب غبائك وإصرارك على أن تفعل مثله وتقحم نفسك فيما لا شأن لك به .

يبدو أن تلك العائلة تتسم بالغباء ولا يتعلم أبناؤها أبدًا .

استمر الكلب فى النباح وهو يزمجر بشدة كاشفًا عن أنيابه المخيفة على نحو أرهب (فاروق) وكاد أن ينزلق معه من فوق إحدى الصخور .

وأثناء ذلك كان (حاتم) قد وصل إلى الجزيرة من الجهة الخلفية ليحرر الكلب (عنتر) من كمامته .. وقد انطلق على الأثر فى اتجاه التل بأقصى سرعة معتمدًا على حاسة الشم لديه .

وبينما بدأ (فاروق) ينهار ويختل توازنه وقد كاد الكلب الآخر أن ينشب مخالبه فى وجهه .. انقض عليه الكلب (عنتر) فجأة ليدور صراع شرس بين الكلبين .

بينما انفرجت أسارير (فاروق) قائلًا :

ـ صديقى (عنتر) جئت فى اللحظة المناسبة .

هتف (سالم) حينما رأى الكلب الآخر يهاجم كلبه قائلًا :

ـ ما هذا ؟ من أين أتى هذا الكلب ؟

وسرعان ما سمع صوتًا يأتيه من الخلف قائلًا :

ـ انتهى الأمر يا (سالم) ألقِ بسلاحك وارفع يديك عاليًا .

استدار ليجد (حاتم) واقفًا على بعد عدة أمتار منه وهو يصوب إليه سلاحه .

وقبل أن يضغط (سالم) على زناد مسدسه كان (حاتم) قد صوب إليه رصاصة أطاحت بالمسدس من يده .

وهو يعود لينذره قائلًا :

ـ هل تريد إضافة جرم آخر لسجل جرائمك ؟ ارفع يديك عاليًا وإلا اضطررتنى لإطلاق الرصاصة التالية على صدرك .

لم يجد بدًّا من الاستسلام رافعًا يديه إلى أعلى .. ولم ينتبه (حاتم) للشخص الآخر الذى تسلل من خلفه شاهرًا بندقيته الآلية وقد استعد لتصويب فوهتها إلى رأسه إلا حينما سمع دوى طلقة أتت عن طريق البحر لتصيب كتف غريمه وتجبره على السقوط من فوق إحدى الصخور الضخمة .

التفت (حاتم) ليرى زميله (رامز) وهو يبتسم رافعًا بندقيته إلى أعلى وهو يصيح قائلًا :

ـ مع خالص تحياتى يا سيادة المحقق .

وأسرع ليقفز من القارب إلى الجزيرة وهو يهرع فى اتجاه الرجل الذى أصابه .

بينما انتهز (سالم) فرصة انجذاب انتباه (حاتم) لزميله ليحاول استعادة مسدسه .

لكن قبل أن تلامس أصابعه المسدس انقض عليه (فاروق) من الخلف فجأة ليمنعه من ذلك ملقيًا به على الأرض .

وقد أطاح به (سالم) من فوقه متخلصًا منه سريعًا وهو يسعى للهرب .

لكن سرعان ما لحق به (حاتم) معترضًا طريقه .

أراد غريمه أن يسدد إليه لكمة .. لكنه تفاداها ببراعة ليعاجله بلكمة أشد قوة فى بطنه شهق لها الأخير منحنيًا إلى الأمام لينهال عليه (حاتم) بلكمة أخرى سددها إلى فكه هوى على أثرها أرضًا وقد ارتطمت رأسه بإحدى الصخور ليغيب على أثرها عن الوعى .

***

استعد (حاتم) لمغادرة مبنى المباحث الجنائية فى (الإسكندرية) بعد انتهاء مهمته .

وقد وقف يودع زملاءه الذين شاركوه فى تلك المهمة وشاركوه القبض على (سالم) وعصابته .

وقبل أن يغادر المكان التفت إلى (فاروق) الذى أتى للإدلاء بشهادته فى القضية واتجه إليه ليصافحه قائلًا :

- أحييك على شجاعتك .. لقد ساعدتنا كثيرًا وعرضت حياتك للخطر للإيقاع بهذا المجرم الخطير وأعوانه .

شد (فاروق) على يده قائلًا :

- وأنا أيضًا لابد وأن أشكرك لأنك منحتنى تلك الفرصة لأكون شخصًا إيجابيًا وأتمكن من المساعدة فى الثأر لأبناء عمى .

يمكننى الآن أن أنظر لنفسى فى المرآة دون خجل وإحساس بالذنب .

ابتسم (حاتم) قائلًا :

ـ ما أخبار (عنتر) ؟

ضحك (فاروق) قائلًا :

ـ يعالج من الجروح التى أصابته .. أظن أنه هو أيضًا قد أصبح مزهوًا بنفسه بعد انتصاره الساحق على (بوب) فى تلك المعركة التى خاضاها سويًا .

وقبل أن يغادر (حاتم) المبنى لحق به اللواء (هاشم) ليودعه قائلًا :

ـ فى المرة القادمة إياك أن تتأخر فى المجىء لزيارتى إذا ما أتيت إلى (الإسكندرية) .

ابتسم (حاتم) قائلًا :

ـ بلا شك .. وأتمنى أن أحظى وقتها بإجازة حقيقية .

وسرعان ما انطلقت السيارة بـ (حاتم) لتعود به إلى القاهرة وسط تلويح الجميع .. مودعين له .

***

[تمت بحمد الله]

لمزيد من الروايات الحصرية
الرائعة و الممتعة
زوروا موقعنا
www.riwaya.ga

رقم الإيداع : ٢٠١٧/٢٨٠٥٦
العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية
٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية - الرقم البريدى ١١٣٨١
ت : ٢٤٧٧٧٨٣ - ٢٤٨/٣٧٢ الرقم المجانى ٠٠٠٠٠٠٠٠

لكل جريمة أسرارها الغامضة ولكل سر
رجل واحد يحل طلاسمه إنه رجل الأسرار

رجل الأسرار 1

www.riwaya.ga

شريف شوقي

تل الموت

جريمة بشعة تحدث فى إحدى الجزر النائية ، استدعت تدخُّل المُحقِّق البارع حاتم الصاوى ليسفر تدخله فى النهاية عن عدد من المفاجآت غير المتوقعة .

www.rewayatmasreya.com

facebook.com/rewayatmasreya

الخط الساخن
19350
للشكاوى - للاقتراحات - لتقديم الكتب - للتواصل

العربية الحديثة

20068001